الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس بالمدية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة وأدب عربي

المرجعية الإسلامية وتحولات شخصية البطل في رواية "لبيك حج الفقراء" لمالك بن نبي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

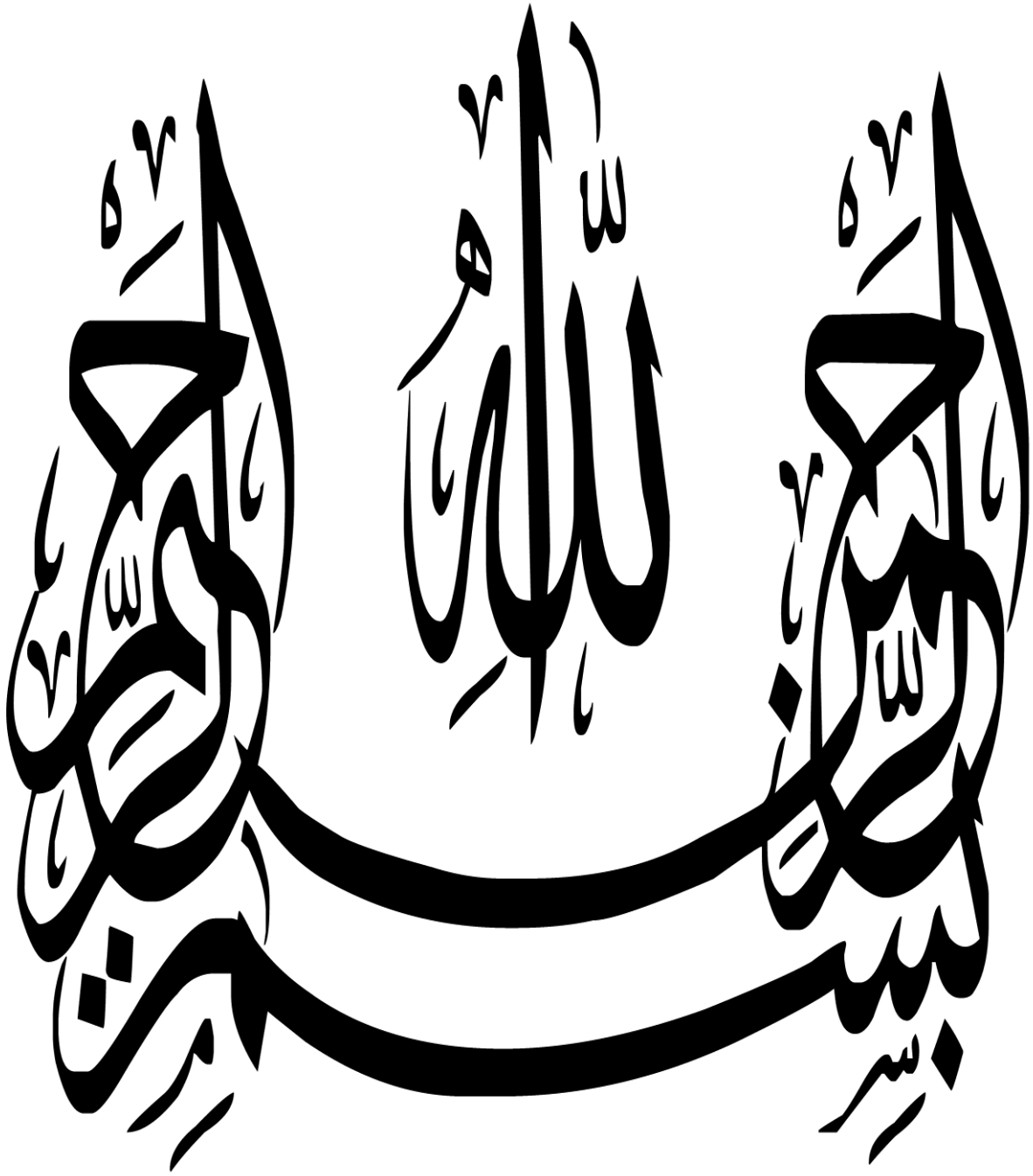
إعداد الطالبتين:

- زينب كروش
- خولة مكلوش

إشراف الدكتورة:

- هجيرة بوسكّين

السنة الجامعية 2021-2022


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نحمد الله حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه على القوة والعزيمة التي أمدّنا بها من أجل إتمام وإنجاز هذه المذكرة وإخراجها إلى عالم النور.

كما نتوجّه بجزيل الشكر والامتنان والعرفان إلى أستاذتنا المشرفة الدكتورة: "**هجيرة بوسكّين**" نظر ما قدّمته لنا من نصائح وتوجيهات، كان لها الدور الكبير في سير قدما بهذا البحث ووصوله إلى مراحله النهائية، كما نشكرها على تصويبه ومراجعته في جميع مراحله النظرية والتطبيقية، فلها منا كل الاحترام والتقدير.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة مناقشة وتقييم هذا العمل، نظرا لجهودهم في تصويب أخطائه وتقويمها.

لكم جميعا كل الشكر والاحترام والتقدير.

اهداء

أحمد الله عزّ وجلّ على منه وعونه في إتمام هذا البحث إلى من رضا الله من رضاهما إلى من قال فيهما عزّ وجلّ:

بسم الله الرحمان الرحيم " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحسانا "

إلى من تحت قدميها الجنة حملتني وهنا على وهن وعلمتني الصبر والتواضع إلى منبع الحنان أمّي الغالية أطال الله في عمرها إلى من لا أستطيع ردّ فضله ما حيّيت وكان عناؤه راحت لي وعرقه قوة لي وخوفه على مستقبلي أمانة لي أبي أطال الله في عمره إلى من هم أقرب إلى نفسي وروحي إخوتي: نبيلة، سامية، صبرينة، مريم.

إلى سندي وقرة عيني أخي العزيز حفظه الله ورعاه وسدّد خطاه إلى أعمامي وعماتي وخالاتي وأخوالي وأولادهم كبيرا وصغيرا.

إلى روح من تغمّدهم الله برحمته الواسعة جدي، وجدتي، وعمي.

إلى صديقاتي اللّواتي عرفتهنّ طوال مشواري الجامعي: سهيلة. زينب. نسيمة.

إلى كل نفس عظيمة تواقة إلى الحكمة والمعرفة.

إلى جميع من حملتهم ذاكرتي ولم تحملهم مذكرتي.

أهدي ثمرة جهدي إليهم.

خولة

اهداء

إلى من جعلتني زهرة في بستانها إلى من سهرت من أجلي الليالي

إلى عينياي التي أرى بهما

إلى أغلى ما عندي في هذا الوجود، إلى رمز الحنان، أمي العزيزة دمت أملا أعيش من أجله.

أهدي تحية معطرة كعطر الياسمين، أقطفها من بستان الحب والوفاء لأقدمها إلى أعزّ وأعظم شخص أبي العزيز أطال الله في عمره وأعانني لأردّ له ربع ما قدمه لي بسخاء وكرم، دمت لي وسام على صدري.

إلى الذين شدّوا أيديهم بيدي لأكتب أول حرف التّحدي أخواتي وإخواني: مراد، سميرة، سمية، بلال، حليمة.

إلى الكتاكيت الصغار: مُحَمَّد أمين، يوسف، ريان، أيوب، هبة الله، نوح، سدرة.

إلى صديقات العمر اللّواتي تقاسموا معي الأفراح والأحزان: خولة، سهيلة، نادية.

إلى كل زميلاتي وزملائي في الفوج 05.

إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد ولو بكلمة وإلى كل من سقط من قلمي سهوا.

أهدي لكم جميعا ثمرة جهدي.

زينب

مقدّمة

يشكل الاهتمام بالمرجعيات المختلفة للنّص الروائي الجزائري الحديث والمعاصر حقلا متميّزًا من حقول الدّراسات النّقدية التي تهتم بالكشف عن أثر الأبعاد الثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية والتاريخية على البناء الدّلالي للنّص الروائي ولعل من أهم المرجعيات التي عُنيَ بها الخطاب الروائي الجزائري في مراحله المتقدّمة، المرجعية الإسلامية لما لها من دور كبير في التعبير عن مراحل بناء ونهضة المجتمع الجزائري وتغيّر أوضاعه من حالة الخوف والضياع والاضطهاد والانحلال، خلال فترة الاستعمار الفرنسي إلى خوض معركة النهوض والبناء والنهضة الأخلاقية والدينية والتعليمية والثقافية بعد الاستقلال.

ولأنّ حضور المرجعية الإسلامية بشكل خاص والمرجعيات المختلفة بشكل عام لا يتجلى ضمن الخطاب السردي إلا من خلال شخصيات تعبّر عن أثرها في بناء المعنى والدّلالة العامة للنّص كان لا بدّ لنا من اختيار دراسة شخصية البطل ضمن الخطاب السردي لما لها من دور بارز في إظهار أثر المرجعية الإسلامية في النّص الروائي باعتبارها الشخصية المحورية والأساسية التي ينبني عليها الخطاب السردي، ويحمّلها الكاتب غالبا أفكاره التي تظهر في شكل رموز وايحاءات تحمل غالبا الكثير من الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية والدينية.

بناءً على ما سبق ونظرًا للأهمية الكبيرة التي تحظى بها دراسة شخصية البطل في الخطاب السردي وقع اختيارنا على نص رواية "**لبيك حج الفقراء**" **لمالك بن نبي** كمدونة لدراسة أثر المرجعية الإسلامية في الخطاب السردي وتحولات شخصية البطل الذي يعكس في هذه الرواية تحوّل المجتمع الجزائري بأكمله من حالة الضياع الفكري والثقافي والتعليمي إلى مرحلة النهضة والاصلاح التي دعا إليها الكاتب والمفكر النهضوي "**مالك بن نبي**"

وعليه قد حاولنا في هذه الدراسة الموسومة ب:((**المرجعية الإسلامية وتحوّلات شخصية البطل في رواية "لبيك حج الفقراء" لمالك بن نبي**)) تحليل أهم القيم المرجعية الإسلامية التي عبّرت عنها شخصيات الرواية وخاصة شخصية البطل، من خلال ربط هذه الشخصية بباقي مكوّنات الخطاب السردي لنوضح أثر الحدث والزمان والمكان في تحوّل شخصية البطل ضمن الخطاب السردي، وذلك من خلال الإجابة عن الإشكالية الآتية:

فيم تتجلّى ملامح حضور المرجعية الإسلامية في نص رواية "لبيك حج الفقراء" وما هي عوامل بناء شخصية البطل ومظاهر تحوّلها في نص الرّواية؟

للإجابة عن هذه الإشكالية قسّمنا خطة بحثنا إلى فصلين اثنين جمعنا فيهما الجانب النظري والدراسة التطبيقية، فأمّا الفصل الأول الموسوم بـــــــ: ((تجلّيات المرجعية الإسلامية والأفكار النهضوية لمالك بن نبي في رواية "لبيك حج الفقراء")) فقد تناولنا في مباحثه الأربعة تحليلا لمفهوم المرجعية الإسلامية وخصائصها وتجلّياتها في نص الرواية من خلال التطرّق إلى أهم المضامين الإسلامية في الخطاب السردي، كما قدّمنا أيضا قراءة في أهم الأفكار النهضوية لمالك بن نبي.

أمّا الفصل الثاني الموسوم ب: ((تحوّلات شخصية البطل في رواية "لبيك حج الفقراء")) فقد تناولنا في مباحثه: عوامل بناء شخصية البطل وعلاقة هذا البناء بباقي مكوّنات الخطاب السردي كالحدث والمكان والزمان،كما تناولنا أيضا مراحل ومظاهر تحوّل وتطور شخصية البطل من خلال تحليل مجموعة المقاطع السردية التي وردت في نص الرواية.

ومن أجل مناقشة هذه الأفكار والقضايا التي تضمنتها خطة البحث اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج البنوي الذي وظفناه في الدّراسة التّحليليّة لعوامل بناء شخصية البطل وعلاقتها بباقي مكوّنات الخطاب السردي، بالإضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي الذي وظفناه في تحليل ووصف المضامين الإسلامية التي عبّرت عن حضور المرجعية الإسلامية في الرواية.

لقد كان اعتمادنا في إنجاز هذه المذكرة على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها كتاب **(فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي)** "**لبشير ضيف الله**"، الذي ساعدنا في فهم الأفكار النهضوية لمالك بن نبي وغايته من كتابة هده الرواية، بالإضافة إلى كتاب **(تحليل الخطاب السردي)** **ل** "**عبد المالك مرتاض**" وكتاب **(مالك بني مفكرا وإصلاحيا)** **ل**"**سعد السمحراني**"

ولأنّ أي بحث لا يخلو من الصعوبات، واجهتنا مجموعة من الصعوبات أهمها قلة الدّراسات السّابقة التي تناولت هذا النّص الرّوائي، بالإضافة إلى قلة المصادر والمراجع التي تناولت موضوع حضور المرجعية الإسلامية في الرواية الجزائرية.

وفي الأخير لا يفوتنا أن نتقدّم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة: " **هجيرة بوسكّين**" على النصائح والإرشادات التي ساعدتنا في استكمال رحلة بحثنا وعلى دعمها لنا في كل مراحل إنجاز البحث.

والله نسأل التوفيق والسداد

الفصل الأول

تجليات المرجعية الإسلامية والأفكار النهضوية لمالك بن نبي في رواية "لبيك حج الفقراء"

المبحث الأول: المرجعية الإسلامية مفهومها وخصائصها

المبحث الثاني: قراءة في الأفكار النهضوية لمالك بن نبي

المبحث الثالث: تجليات المرجعية الإسلامية في رواية "لبيك حج الفقراء"

المبحث الرابع: المضامين الإسلامية في الرواية

تمهيد:

تعد المرجعية الدينية الإسلامية من القضايا المهمة في الواقع الإسلامي حاضرا ومستقبلا، إذ أن علاقة الإنسان عموما بالدين أوبالأفكار إنما تقوم فيما تقوم عليه، على أساس الارتباط بمرجعية تجسد الفكر وتمنح لأتباعها مرجعا يثقون به ويعودون إليه، وتزداد الحاجة إلى هذه المرجعية عند التباس الفهم لبعض القضايا التي تعترض الإنسان أو عند تشعب السبل أمامه بخصوص الأسئلة الجديدة التي يواجهها في واقعه، حيث أن للمرجعية أثرها على فكر الإنسان وسلوكه وتصرفاته.

من هنا سنحاول في هذا الفصل تناول أهم تجليات المضامين الإسلامية في رواية "**لبيك حج الفقراء**" من خلال دراسة أثر هذه المضامين والقيم الإسلامية في شخصيات الرواية وخاصة شخصية البطل التي شهدت تحوّلات وتطوّرات هامة في نص الرواية الذي حمّله مؤلفه "**مالك بن نبي**" الكثير من الأفكار الإصلاحية والنهضوية.

المبحث الأول

المرجعية الإسلامية مفهومها وخصائصها

1. مفهوم المرجعية الإسلامية.

2. خصائص المرجعية الإسلامية.

1. العلم.

2. الخبرة.

3. القدرة على الاستنباط والتنزيل.

1. مفهوم المرجعية الإسلامية

1. أ. لغة

يتحدد مفهوم **"المرجعية"** في عرف النحويين على أنه مصدر صناعي تمت صياغته من لفظ (مرجع)، وهو اسم مكان جاء على وزن (مفعل) مشتق من الفعل الثلاثي (رجع) وهو في معظم معاجم اللغة بمعنى (العودة)، جاء في **قاموس المحيط:** «رجع يرجع رجوعا كمنزل، ومرجعة لأن المصادر من فعل يفعل إنما تكون بالفتح، ورجعى ورجعانا بضمهما: انصرف و- الشيء عن الشيء- وإله رجعا ومرجعا كمقصد ومنزل: صرفه رده كأرجعه... والرجيع من الكلام المردود إلى صاحبه».[1]

أما في **لسان العرب** « (رجع) رجع يرجع رجعا و رجوعا و رجعى و رجعانا و مرجعا و مرجعة: انصرف»[2] وفي التنزيل « إن إلى ربك الرجعى»[3] أي الرجوع والمرجع،... وقوله تعالى ﴿إلى الله مرجعكم جميعا﴾[4] أي رجوعكم. وقوله عز وجل ﴿قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا﴾[5] يعني العبد إذا بعث يوم القيامة وأبصر وعرف ما كان ينكره في الدنيا يقوله لربه: ارجعون أي ردوني إلى الدنيا.

1. ب. اصطلاحا

تتعدد مفاهيم "**المرجعية**" بحسب الحقول المعرفية، والمجالات التي تلحق بها فهناك المرجعيات الفلسفية والمرجعيات الدينية، والمرجعيات التاريخية والمرجعيات السياسية وغيرها كثير، لعل أهمها المرجعية الفكرية باعتبارها تؤطر الكل وعليه، فالفكر

---

[1]- الفيروز أبادي، قاموس المحيط، تح، يحي مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط8، القاهرة-مصر، 2010، ص.60.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مج4، مادة "رجع"، دار الحديث، ط1، القاهر-مصر، 2003، ص.107.

[3]- سورة العلق، الآية 08.

[4]- سورة المائدة، الآية 48.

[5]- سورة المؤمنون، الآية 99.

العربي والإسلامي المعاصر يسمى "المرجع" والمرجعية «ويعني أن المرجوع إليه الذي يرد ويعاد إليه أصل ومبدأ كلي جامع يحسم الخلاف وينهي النزاع، إذ غالب الرجوع بما هو رد وعودة إلى أصل يكون بعد خلاف في فرع، أو نزاع في جزء، يضاف إلى هذا أن هذا الأصل لا يمكنه أن يكون إلا ذاتيا محددا للذات هوية وحضارة، ولا يمكنه أن يكون شيئا آخر خارجا عنها».[1]

أمّا المرجعية في الخطاب النقدي فيحددها جنس العمل الإبداعي، فكل جنس أدبي مرجعياته التي تحدد أدواته الإجرائية لكشف عن أدبيته، من خلال استنباط مواطن القبح والجمال فيه، وبما أن وجود النقد عادة ما يرتهن بوجود الأدب «باعتبار العلاقة التلازمية المتينة القائمة بينهما، لدرجة يستحيل معها تصور وجود الأول دون الثاني، والعكس صحيح مما أدى ببعض المنظرين لتعريفه بكونه خطابا فوق خطاب أو مبالغة».[2]

أمّا بالنسبة **للمرجعية الإسلامية** يمكن أن نعرفها على أنها الجهة، ممثلة في الغالب في فرد أو في مؤسسة، التي يرجع إليها كل مهتم بالشأن الديني، طلبا للتوجيه أو استفتاء لما يعرض له من وسائل وقضايا يحتاج فيها إلى معرفة الرأي الشرعي بخصوصها، والأصل أن هذه المرجعية تنبع من اختيار الفرد الذي يريد الاستناد إليها، وليست المرجعية الدينية الإسلامية سلطة قانونية على من يعود إليها، وإنما هي سلطة معنوية روحية.

2. خصائص المرجعية الإسلامية

للمرجعية الإسلامية خصائص عديدة نذكر منها ما يلي: العلم، الخبرة، القدرة على الاستدلال والاستنباط.

---

[1]– إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، ط1، دمشق–سوريا، 2006، ص.171.

[2]– عبد العالي بطيب، إشكالية تأصيل المنهج في النقد الروائي العربي، مطبعة الأمنية، ط1، دمشق_سوريا،1999، ص.11.

1.2. العلم

يقول تعالى: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[1] إن الأصل في الإنسان أن يعلم بنفسه ما هو محتاج إلى معرفته، وقد اعتبر العلماء أن اكتساب العلم بالأحكام الشرعية ينقسم إلى قسمين ما هو ضروري للمسلم معرفته، وهو ما تستلزمه عبادته، ومعاملاته في مجال تخصصه، فهذا القسم من الواجب العيني الذي على المسلم تحصيله، والقسم الثاني هو ما يصل بالإنسان إلى مستوى التخصص في العلوم الشرعية، وهو ما يدخل في باب الواجبات الكفائية، إذ لا يطلب من كل مسلم أن يكون متعمقا ومتخصصا في جميع العلوم الشرعية ومحيطا بها.

2.2. الخبرة

قوله عز وجل: ﴿فاسأل به خبيرا﴾[2] والخبير هو الذي اكتسب خبرة الأمر وعرفه على حقيقته، وهو أمر زائد عن العلم، إذ أنه يجمع مع العلم التجربة والفهم، ولعل الخبرة من مقتضيات الفقه بالأمر، كما جاء في الحديث النبوي «رب حامل فقه ليس بفقيه».[3]

3.2. القدرة على الاستنباط والتنزيل

في التنزيل ﴿ ولَو رَدُّوهُ إلَى الرسُّول وإلى أُولي الأمر منهم لَعلمَه الذين يَستنبطونه منهم﴾[4] فالاستنباط هو استخراج الحكم بناء على العلم والخبرة بالنظر على الواقع وما يقتضيه، ومن ثم حسن تنزيل الحكم على الوقائع.

إذ التنزيل يقتضي معرفةً بالنص ومعرفةً بالواقع، ولا يمكن أن نصل إلى فهم النص إلا بالإلمام بكل ما يُعين على فهمه، كما لا يمكن فهم الواقع إلا بما يُعين على فهمه.

---

[1]– سورة النحل، الآية 43.

[2]– سورة الفرقان، الآية 59.

[3]– حديث شريف، صحيح البخاري، رواه أبو داود.

[4]– سورة النساء، الآية 83.

المبحث الثاني:

قراءة في الأفكار النهضوية "لمالك بن نبي".

1.الفكر البنابي وموقفه من الفكر الإسلامي.

2. البعد الحضاري للدين الإسلامي في فكر مالك بن نبي.

3. مالك بن نبي في عيون الآخرين.

1. الفكر البنابي وموقفه من الفكر الإسلامي

"مالك بن نبي" هو مفكر إسلامي وإصلاحي ذو مرجعية عربية قويمة رغم أن جل كتاباته باللغة الفرنسية، ولئن كانت بوادر الانبثاق الفكري لدى مفكرنا بارزة للعيان، إلا أن هناك عوامل كان لها دور في الحد من هذا الانبثاق نتيجة لخلفيات، وأسيقة كرست مشرقية الفكر بدل من مغربيته، أو بالأحرى عوربته لذلك نجد أن مقام مفكرنا مفترض أن يكون في واجهة الفكر العربي المعاصر.

يشير الباحث **"محمد شاويش"** إلى أنّ **"مالك بن نبي"** يشغل موقعا خاصا في الفكر الإسلامي نظرا لطبيعة تكوينه،ومرجعياته الفكرية، بل يقول أنه يشكللوحده مدرسة خاصة من مدارس الاتجاه الفكري الإسلامي المعاصر خاصة وأنه يمثل اتجاها، عاش فترة استعمارية ليست ككل الفترات الاستعمارية التي عاشتها الأقاليم الأخرى، ومارافق ذلك من محاولات مسخ للهوية، وللذات معا، وفق خطط عملية مدروسة ذات غايات استعمارية قذرة ارتبطت بتهاوي الأمّة العربية ككيان بدأ يتآكل من الداخل شيئا فشيئا، فكان المصير الحتمي طبعا.[1]

إلاّ أنّ محاولات المسخ هذه لم تمنع مفكرا مثل **"مالك بن بني"** من أن يكون حلقة أخرى من حلقات الإصلاح التي قادها في مصر **"محمد عبده"**، وفي الجزائر **"عبد الحميد بن باديس"** ومن ورائه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو ما أهله لأن يكون مشاركا في التغييرات السياسية والأيديولوجية في العالم الإسلامي وفي المشرق العربي.

---

[1]– بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ط1، الجزائر، 2005، ص.26.

إنّ الظروف الاستعمارية المحيطة بأهم مراحل حياة **"مالك بن نبي"** كانت ضرورة بوجه مَا لتحريك الفعل الحضاري والفكري في مجتمع تسحقه الغطرسة، وينالله التنكيل، وتصهره مرحلة فمرحلة الدعوات التبشيرية، والتنصيرية، ولا يمكن بأي حال الفصل بين ما تعيشه الجزائر، والأقاليم العربية الأخرى، «لأنّ هذا التداعي يصب كله في نطاق تراجع الدّور الحضاري للأمة العربية أو الإسلامية في فكر مالك بن نبي، فكان لابد من التعرف على أعراض هذا الداء الذي حاول المستشرقون أن يحددوا في صياغ واحد، وهو الإسلام الذي اعتبروه السبب الوحيد والمباشر في تخلف هذه الأمّة، وهو ما جعل مالكا يدخل في معارضات ومناظرات كثيرة لرّد هذا الزيغ».[1]

إن هذا التفكير السليم لا يكون إلّا لمفكر بحجم **" مالك بن نبي"** بل هي ميزة من مميزات مدرسته « إن ميزة مدرسة مالك بن نبي التي تهبها طابعا الخاص في مدارس الفكر الإسلامي المعاصر هي أنّها تركز على مشكلة الحضارة الإسلامية، وليس على مشكلة السلطة السياسية».[2]

إنّ السّلطة السياسية هي من صلب الحضارة، أو هي وجهها القائم على تصوراتها، وتوجهاتها، وأنماطها الموضوعية لها بعيدا عن أي صراع خفي أو ظاهر كما يعتقد الكثير من المفكرين، وذلك هو الفرق الكامن بين نظرة **"مالك بن نبي"** لأبعاد الأشياء ونظرة معاصريه من أقطاب المدارس الأخرى.

2. البعد الحضاري للدين الإسلامي في فكر مالك بن نبي

يرى **"ابن نبي"** أن النواة الأولى لأحداث وثبة الانطلاق الحضاري تكون أساسا فكرة ذات طابع ديني مما يعني أن العلاقة قائمة ومبنية بين كل مشروع حضاري مبني

[1]– بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، ص.27.

[2]– المرجع نفسه، ص.28.

على فلسفة بناء ناجحة، لذلك فالفكرة الدينية هي مرحلة لتجاوز العتبة وتحريك المفاعل، و وضعه في مساره الصحيح بحيث يصبح الفرد- المشروع على الاستعداد للبناء بعد أن وجدنا ديناميكية التفاعل الاجتماعي بينه وبين الطرف الآخر، وهكذا.[1]

وكثيرا ما استشهد مفكرنا بالحضارة الإسلامية التي كان نواتها ظهور الدعوة المحمدية التي فكت القيود الفكرية والعقبات التي تجهض المبادرة والاقتدار، بل وتكبل حتى الرغبة في التجاوز وتغيير الأنا.

من هنا فإن الدين هو مهم وفاعل في بعث أي أسلوب أو نمط بناء هدفه الانتشار، والاكتساح، والفاعلية المجاوزة لراهن الأشياء باعتباره مكونا له وظيفة تحرير الفرد الذي لا يزال بحاجة إلى إشباع ذاته، والفرد الذي لا يزال يحاول التخلص من هذه العقبة، لأن الإقلاع لا يكون إلا سّد هذين المنفذين اللذين بميزان التركيبة البيولوجية للإنسان الذي يبقى دائما بحاجة إلى التبشير بضرورة إقلاعه.

إن ما أراد أن يصل إليه **"ابن نبي"**، هو ضرورة الانطلاق في أي بناء حضاري من أرضية صلبة أساسها الفرد التي تم كبح شهواته بصفة طبيعية، روحية متيقنة تجعله محصنا في وجه كل الاستفزازات، أو العواقب، أو ردود الأفعال بما يضمن صيرورة العمل المنجز، وتواصله، وتأثيره[2] فيما حوله، فكيف ينظر **"ابن نبي"** للإسلام؟.

في البداية نشير إلى أن فهم **"مالك بن نبي"** للإسلام يختلف عن الكثير من العلماء المسلمين الذي «ينحصر في حدود العلائقية الصرفية بين المرء، وخالقه في صياغ الأوامر، والنواهي والنصوص غير القابلة للتأويل أو الاجتهاد، فهو يراه وسيلة لإقامة التوازن بين جانبين مهمين، ومكملين لبعضها البعض، هما الروح والمادة، فمتى كانت

[1] بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، ص.50.

[2]- سعد السمحراني، مالك بن نبي مفكرا وإصلاحيا، دار النفائش، ط2، بيروت-لبنان، 1986، ص.112.

العلاقة القائمة وإيجابية، كان نتائجها نظام اجتماعي متناسق، ومتكاثف، وإن حدث العكس كانت المشكلة الحقيقية التي ولدها الانفصام الحادث المنحيين».[1]

بناءً على ما سبق نخلص إلى أن الإسلام مسلك حياتي قائم على أساس تحقيق التوازن في شخصية العنصر المسلم هو مفتاح الحضارة خارج الأطر الفلسفية المجردة، أو التنظيم الفارق في التصوف والانعزال.

3. مالك بن بني في عيون الآخرين

مهما حاولنا أن نحدد موقع **"مالك بن نبي"** على صعيد الفكر العربي وتداعياته مشرقا، مغربا، فإننا لا نفي الرجل حق قدره، لكن مهمتنا في كل هذا ما عبر عنه كثير من المثقفين والمفكرين العرب ممن عاصروه، أو جاءوا بعده بعد إطلاعهم على منحاه الفكري، ومواقفه على أكثر من صعيد، فقد كان مفكرًا، ومصلحا، ومنظرا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، فهو إنسان مسلم بكل ما لكلمة إسلام من بعد إيماني، وفكري وكان يترجم إسلامه في سلوكه وأعماله وأقواله «تنطلق أفكار ابن نبي لالتضيف في المجتمع الإسلامي معرفة جديدة بالفقه، أو علما مستخلصا من تجارب الحضارة الحديثة، بل لتنظيم هذه المعارف في مفاهيم تربوية تسير بالإنسان خطوة متقدمة فهو يطرح الإسلام كملهم لقيمنا، وقادر على استعادة دور الإنسان مبرأ من ثقل الحضارة الإمبراطورية، وهو يرى أن الإسلام لا يقدم إلى العالم ككتاب، وإنما كواقع اجتماعي يسهم بشخصيته في بناء مصير الإنسان».[2]

فالإسلام في منظور مفكرنا فكرة دينية عملية، واقعية خالية من التعقيد، والتشنجات الخارجة عن إطار القيمة الحقيقية المبتغاة من الاعتقاد الصادق، والصحيح لهذا الدين،

---

[1]– بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، ص.52.

[2]– سعد السمحراني، مالك بن نبي مفكرا وإصلاحيا، ص.21.

فالإنسانية كل الإنسانية مدينة له، بحاجة إليه كلما تداعت القيم وتهاونت الطروحات ذات الطابع الفلسفي الماورائي، الغارق في الاستشراق والتمادي، إلّا أن فلسفة الإسلام غير ذلك تمامًا عكس باقي الديانات الأخرى، فالواقعة كواقعة هي المنطلق الذي تجسده القيمة الدينية، والقيمة الفكرية المبنية أساسًا على فاعلية الإسلام.

من بين ما قاله **"أنور الجندي"** عن **"مالك بن نبي"**: «مالك بن نبي يختلف كثيرا عن الدعاة المفكرين، والكتاب فهو فيلسوف أصيل له طابع العالم الاجتماعي الدقيق الذي أتاحت له ثقافته العربية والفرنسية أن يجمع بين علم العرب وفكرهم المستمد من القرآن والسنة، والفلسفة والتراث العربي الإسلام الضخم، وبين علم الغرب، وفكرهم المستمد من تراث اليونان، والرومان، والمسيحية»[1] حيث أن **"مالك بن نبي"** يعتبر فيلسوفًا أصيلًا يختلف عن الكثير من الدعاة المفكرين، من خلال أنه استطاع أن يجمع بين علم العرب وعلم الغرب.

هو ما يؤكد بدوره الأستاذ **"محمد مبارك"** «إنه عربي مسلم، ليس هو من المجتمع الأوروبي الذي عاش فيه بجسمه في شيء، وكان تعمقه في الثقافة الأوروبية سببا في تحرره من نفوذها، ومعرفته لمصادرها، ولدوافعها الخفية وبواعثها العميقة، ولاسيما أنه جمع إلى جانب الثقافة العلمية ثقافة فلسفية واجتماعية واسعة الأرجاء، عميقة الأغوار، كما تدل عليه آثاره، ومؤلفاته العديدة التي قرأناها... لقد تجمعت في قلبه ونفسه، وعاطفته وشعوره، في عقله وتفكيره مآسي أولئك الملايين من البشر الذين يعيشون على ارض الجزائر ضحايا لمدينة القرن العشرين، وأمثال بارزة لانحطاط أهدافها، وغاياتها»[2] لقد كان رغم غربته الدائمة خلفية حقيقية لما يعيشه الجزائري، والجزائر الوطن الأم باعتباره جزء من أمّة كاملة تعاني ما تعاني، وبالتالي إن ارتباطه بها ارتباطا قويا عبّر عن كل

---

[1]– سعد السمحراني، مالك بن نبي مفكرا وإصلاحيا، ص.22.

[2]– المرجع نفسه، ص.22.

الذين عرفوه، وأبرزوا شعور هذا المفكر اتجاه وطنه- وإن كانت ثقافته أوروبية- فالعبرة فيما ذهب إليه كلّ الذين أخذنا آرائهم فيه أن الوطن، أو بالأحرى الجزائر كانت حاضرة بقوة في أهم مراحل حياته الفكرية بأحلامها، وآلامها، بكيانها وتجسيداتها بصراعها الشرس لمدينة القرن العشرين-كما يقول محمد مبارك- وبجذورها، وارتباطاتها، وعمقها الحضاري الكامن، إلّا أنّ نظرة **"مالك بن نبي"** كانت تصب في الصياغ الحضاري العربي، ككل والجزائر الأهم في حلقة هذا السياق.

يشير **"محمد الميلي"** إلى القيمة التي تحظى بها كتابات هذا المفكر العالمي، وإشعاعات فكره، وخلاصة تجاربه ذات البعد الحضاري الإصلاحي في أوضاع معيشة صعبة تتسم بالاستعمار والهوان. [1]

[1]- سعد السمحراني، مالك بن نبي مفكرا وإصلاحيا، ص.22.

المبحث الثالث:

تجليات المرجعية الإسلامية في رواية "لبيك حج الفقراء"

1. حضور القيم الإسلامية في نص الرواية
2. أثر القيم الإسلامية على أحداث وشخصيات الرواية

1. حضور القيم الإسلامية في نص الرواية

انطلاقا من تحليلنا لعنوان الرواية نلاحظ أن لفظ **"لبيك"** هي نائب عن مصدر، مفعول مطلق، لفعل محذوف تقديره ألبي أي تلبية بعد تلبية منصوب، وعلامة نصبه الياء لأنه جاء على صورة المثنى وليس المقصود في **"لبيك"** المثنى العددي أي اثنين بل المقصود بها التتابع والاستمرار في التلبية، أي تلبية بعد تلبية والذي يوحي في سياق العنوان الاستجابة لله في تمثيل مظهر التطهير الروحي من خلال الحج كمسلك روحي، أيضا وكخامس ركن في الإسلام يتجسد فيه الخلوص الكلي لله عز وجلّ، والذي يعني في امتداداته، ما قاله سيدنا موسى عليه السلام {ربّ إنيّ لما أنزلتَ إليّ من خير فقير}[1] ولذا جاءت لفظة الفقراء مضاف إلى لفظ الحج، إلى أنّ الفقر ليس فقرا ماديا بمتمثلات شخصيات الرواية المرتبطة تحديدا بشخص **"إبراهيم"** و **"هادي"**، كبطلين مركزيين شكلا معادلا موضوعيا لجيلي الانفصال عن الدين ثم بعدها المراجعة بالعودة إلى أنواره كما جاء في تفاصيل الرواية.

إن شعرية المعنى في الرواية وجماليته تتجلى في تلبية نداء الحج المقابل للتطهير والتزكية والتغيير، ومن ثم كانت العقيدة بالنسبة **"لمالك بن نبي"** ليست عدوة الحضارة، وإنما هي ملهمة لها بانية للثقافة التي تعني « مجموع القيم المعرفية والروحية والأخلاقية والسلوكية المتوافقة مع سنن الله التشريعة والتكوينية (سنن الهداية وسنن الآفاق وسنن النفس)، والتي تهدف إلى تقويم وترقية فطرة الإنسان في بعديها الروحي والاجتماعي، بما يؤهله للقيام الكامل بوظيفته الوجودية المتمثلة في تحقيق مستوى استخلافي راق».[2]

والقارئ المتأمل للرواية يلحظ تموجات القيمة في ثنايا النص التي تتوزع بين قيم روحية ونفيسة واجتماعية وحضارية هي في تنوعها تمثل تركيبة المجتمع الجزائري،

---

[1]– سورة القصص، الآية 24.

[2]– فؤاد بهي السيد، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة–مصر، 1999، ص.53.

بمختلف فئاته "فالعم محمد" يمثل الأصالة المتجذرة في الأمة عبرت عنها استقامته واحتواؤه "لإبراهيم" الرجل السكير والذي يعبر عنها في هذا المقطع السردي « ماذا يعد يا إبراهيم؟ مرة أخرى ثملاً؟! ألا تفكر أنك في هذه الساعة المتأخرة من الليل تزعج جيرانك المساكين، هل تدري أنّني اضطررت إلى قطع صلاتي حتى لا أدعك تصرخ طوال الليل تحت نافذتي»[1] ويردف قائلا «أنت مسكين يا إبراهيم أنت لا تستشعر ذكرى والديك اللذين كانا مؤمنين تقيّين، كان يريدان أن تكون شيئا آخر غير الذي أنت عليه».[2]

نلاحظ في لغة الحوار ذلك الحس الإنساني العالي الذي يتمتع به العم "**محمد**"، وتلك الطاقة الإيمانية الكبيرة التي تترجم قيم الرحمة والصبر والتحمّل، وهي من أهم القيم الإسلامية، والتي تعتبر حلقات العقد التي تتراص، وتبقى لتحقيق فعل التغيير في النفسيان المنحرفة تماما كما هو حال **"إبراهيم"** الذي يمثل انحرافه عن الطريق السليم صورة مصغرة عن الجيل الذي احتك وعايش المجتمع الأوروبي وتأثر بأخلاقه التقليعية، التي هي ليست نبت تربيتنا الإسلامية والتي يُقابلها مصطلحه الذي اشتهر به وهو القابلية للاستعمار، ومن ثم «عانى إبراهيم من الفراغ الذي يعانيه كل امرئ غير مقتنع بعقيدته ومقوماته الأخلاقية».[3]

ولعل ارتباط مهنة الفحام **"بإبراهيم"** والذي يقابل لها بالسواد، تمثل الرّوح السوداء التي تلبسه وهو منتشي بفساده ومجونه الذي أفقده قيمته الاجتماعية بين جيرانه يترجمها سخرية الأطفال منه بدعوته «يا بوقرعة»[4] بما يوحي الضمير الجمعي الجزائري يتماهى مع الفكرة الدينية التي يتحدد فيها تحريم الخمر وضرورة احترام الضوابط الشرعية

---

[1]– مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، تر، زيدان خوليف، دار الفكر، ط1، دمشق _سوريا، 2009، ص.32.

[2]– المصدر نفسه، ص.34.

[3]– ويقصد بالأفكار التقليعية، تلك الأفكار الدخيلة المنبتة الجذور، والتي تنتمي في أصولها ومرجعياتها لتربية فكرية غيرية في أكثر الأحيان الفكر الغربي بمشاربه وإيديولوجياته و روافده.

[4]– لبيك حج الفقراء، ص.18.

الموجهة للسلوك الإنساني عمومًا حتى إذا تاب واسترجع طاقته الإيمانية بعد الحلم الذي رآه، تحددت معالم الرؤية مع آذان الفجر«حيّ على الفلاح، الله أكبر، لا إله إلا الله»[1] لتنبئ عن ميلاد جديد لإنسان جديد مختلف عما عهده العامة حيث لخصت عبارة « حيّ على الفلاح المزروعة في قلب الرواية حالته النفسية... في هذه الدقيقة تناهت إليه مثل صدى لحوار داخلي كان قد أفلت من شعوره، فأحس بخفة روحه وكأنّها تخلّصت من قيودها الثقيلة التي كان يظن أنّها لن تنفك عنه أبدا».[2]

ومن ثمّ يتحقق فعل التحول الإنساني من السلبي إلى الإيجابي في تفاعلات **"إبراهيم"** كشخصية مركزية مع نداء الفطرة الذي يتناغم مع القيم الروحية.

2. أثر القيم الإسلامية على أحداث وشخصيات الرواية

يمكن أن نلمس أثر القيم الإسلامية في الخطاب السردي للرواية أو بصورة خاصة في شخصيات الرواية في ذلك الارتباط العميق بالجماعة التي ترفض "إبراهيم" كنموذج، حين ينهار أخلاقيا وتحمّله المسؤولية ونقف معه موقفا حاسما حين يستعيد انتماءه الديني الإسلامي والحضاري ويقرر العودة لدينه ومجتمعه الإسلامي، وعاداته وتقاليده فتفرح لتوبته وتفعّل مخزونها الأخلاقي الاجتماعي بدعوة الشرفاء له إلى مائدتهم حين قرّر الحج « وكانت هذه الدعوة تعبيرا عن تقديم الناس واحترامهم له لاسيما بعد إصرار العم محمد على أن يخرج من المنزل ككل الحجاج وليس كمن لا بيت له»[3] وقيام زوجه الشيخ **"محمد"** العمة **" فاطمة"** باستضافة الحاج بالبخور فرحا بتوته ووفاء لأهله الطيبين الذين رافقتهم حتى آخر لحظة في حياتهم بل إن الصورة القيمة التي يشير إلى ذلك التكافل الاجتماعي الذي يحرص عليه الدين تظهر وتبين أكثر وأكثر وإصرار الجيران جميعهم

---

[1]– لبيك حج الفقراء ، ص.51.

[2]– المصدر نفسه، ص.51.

[3]– المصدر نفسه، ص.66.

على إهدائه قفة الحج كما تقول العمة **"فاطمة"** «لقد أصرّ الجيران على أن يهدوا لك هذه القفة».[1]

إنّ الرغبة في الالتحام بالفكرة الدينية عند **"مالك بن نبي"** تزداد وضوحًا عندما يسرد تسليم العمة "فاطمة" "إبراهيم" سبحة أمّه التي بعثتها إليه زوجته "زهرة" برغم انفصالها عنه، والتي ترمز إلى ضرورة المحافظة على الهوية الإسلامية وعدم خيانة الموروث العقدي بتفاصيله المعنوية والشكلية، ونحن نتبع تنازل "إبراهيم" عن محله لصاحبه أمام دهشة هذا الأخير بفضل الحس الإيماني والوجداني الذي ما فتئ يكبر ويكبر في قلب "إبراهيم" "كان يفيض رقة لكل ما يراه في الشارع وهو متجه صوب العم محمد... تبادرإلى ذهنه الذهاب إلى المحل لرؤية صاحبه أولا كان يريد أن يرى دهشته ولاسيّما عندما يعلمه بأحدث العظيم وبالمحل الذي سيتركه له".[2]

والذي يترجمه على مستوى آخر، تنازل "الهادي" لصاحبه عن لماعته بعد أن قرر التسلل إلى العبّارة طامعا في الحج مما يوحي أن **"حج الفقراء"** ليس افتقارا ماديا وإنما هو افتقار الروح لسر الأنوار و**"لبيك"** بينهما هي زاد المسار كما يقول **"عمر كامل المسقاوي"** لتنتقل الصورة إلى ما هو أبعد، بعد أن يركب "إبراهيم" العبّارة مع قوافل الحجيج الذين جاءوا من كل حدب في مشهد إنساني عال يحس فيها "إبراهيم" بأنه امتزج مع مجتمع جديد نقي يرغب في التطهير.

تتسارع الأحداث في الباخرة وتلقي الأفكار وتتلاقح الثقافات بين الحجيج وربّان السفينة مما يوحي أن الاختلاف العقدي طبيعة إنسانية لا يحمل المختلف على تمثل ما لا يعتقد، وإنما هو حرّ في قبول أو رفض الفكرة الدينية ترجمها قول البحار بعد حوار طويل مع "إبراهيم" الذي كان يفهم اللغة الفرنسية يقوله: " أنا لا أهتم بتاتا لهذا الأمر، لدينا ما

---

[1]– لبيك حج الفقراء، ص.70.

[2]– المصدر نفسه، ص.64.

يكفي من المشاكل في هذه الحياة لنهتّم بها، أنا أرى أنّه لو لم تكن هناك ديانات لما كانت كل هذه الصراعات على الأرض، ولو لم تكن هناك (ربّ) حقا لما كان هذا الظلم وكل هذا البؤس والشقاء".[1]

[1]–لبيك حج الفقراء، ص.106.

المبحث الرابع:

المضامين الإسلامية في الرواية

1. التوبة.

2. الوفاء.

3. حسن الجيرة.

4. الشوق إلى الأماكن المقدسة.

5.التعايش الديني.

6. التكافل.

تضمنت رواية "**لبيك حج الفقراء**" "**لمالك بن نبي**" في طياتها مجموعة من المضامين الإسلامية تجسدت في: التوبة والوفاء وحسن الجيرة والشوق إلى الأماكن المقدسة وكذلك التعايش الديني وأخيرا التكافل بين المسلمين.

سنحاول في هذا المبحث أن نتناول هذه المضامين بالشرح والتحليل من خلال وقوفنا عند تجليات هذه المضامين في المتن الحكائي للرواية ومدى تأثيرها في شخصيات الرواية .

1. التوبة في الرواية

التوبة هي الرجوع إلى الله تعالى وترك المعصية والندم على فعلها والعزم على عدم العودة إليها، وهي واجبة على كل مسلم من جميع الذنوب كبيرة كانت أو صغيرة، قال الله تعالى: ﴿ فتلقى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه إنّه هو التّواب الرحيم﴾[1] وقال عز وجل: ﴿ فَسبّح بحمد ربّك واستغفره إنّه كَان توّابًا﴾.[2]

تدور أحداث هذه الرواية حول قصة **"إبراهيم"** السّكير الذي كان مرفوضا من قبل مجتمعه فقرر التوبة والعودة إلى الله عز وجل واجتناب المعاصي، مواجها شهواته ونفسه وهذا ما ينفتح في المقطع السردي في الرواية «مهما يكن انحطاطها فإن النّفس المسلمة تحافظ على بعض كرامتها في مواجهة الإحساس بالخزي، وهي ترزخ تحته».[3]

لعلّ الشيء الذي غيّر حياة **"إبراهيم"** هو سماعه لصوت الأذان «الله أكبر! الله أكبر! استمع إبراهيم إلى هذا الصوت الذي يشدو كل صباح على آفاق الإسلام كأنّه لم يسمعه منذ أمد بعيد»[4] كان "**إبراهيم**" مادًا يديه إلى السماء يدعو الله لهدايته، ويتضح ذلك

---

[1]– سورة البقرة ،الآية 37.

[2]– سورة النصر، الآية 03.

[3]– لبيك حج الفقراء، ص.45.

[4]– المصدر نفسه، ص.50.

في المقطع السردي الآتي: « ياربّ اشفني من شروري فأنا مريض، اهدني سواء سبيلك فإني ضال».[1]

وفي مقطع آخر: « أضاء نور الصباح الجديد وجه إبراهيم الذي مازال مادا يديه إلى الله متضرعا، ويملؤ التأثر ويرجو هبّة منه».[2]

كانت "**لإبراهيم**" الرغبة في الذهاب مع الحجيج إلى بيت الله قاصدا الله تعالى من أجل هدايته وتطهيره من الخطايا: «إن فكرة إقلاع الباخرة تبت بإصرار في ذهن إبراهيم وقد أوحت إليه أمرا مفاجئا تساءل فجأة في نفسه، ماذا لو ذهبت أنا أيضا معهم؟».[3]

من خلال سفر **"إبراهيم"** وتأملاته في الطريق استطاع أن يسترجع بعض ماضيه السيء مع نفسه وزوجته، لكنه في الوقت ذاته مستسلم لله نائب إليه متفائل بالمستقبل، وهذا ما يتضح في المقطعين السرديين «مرت بخاطره ذكرى، رسمت على وجهه ابتسامة، كان مستهرا مضحكا سبب رحيله من المنزل العائلي الذي كان يقيم فيه رغما عن كل ساكنيه عدا العم محمد، لم يتقبل الجيران أن يكون بينهم مطلق وسكير ولكنهم احتملوه لأنه كان صاحب المنزل وأيضا لأن العم محمد كبير البيت، كان يدافع عنه احتراما لذكره والديه لقد كان فوق القلوب».[4]

---

[1]– لبيك حج الفقراء، ص.54.

[2]– المصدر نفسه، ص.54.

[3]– المصدر نفسه، ص.55.

[4]– المصدر نفسه، ص.77.

وفي مقطع آخر: «مرت بفكرة مشاهد من حياته الزوجية، كانت سعيدة في بدايتها، لكن الندم على هذا الماضي لم يؤثر في إبراهيم الذي سمحت له حالته الوجدانية أن يربط آماله بالمستقبل».[1]

2. الوفاء في الرواية

إنّ الوفاء خلق الكرام، وهو من الخصال الحميدة التي يتميز بها المسلم قال رسول الله عليه وسلم «...ولا دين لمن لا عهد له».[2]

ويتضح لنا الوفاء في عدة مواقف من أحداث الرواية نذكر منها موقف: وفاء الجار **"محمد"** لوالدي **"إبراهيم"** يقول: «أنت مسكين يا إبراهيم أنت لا ستشعر ذكرى والديك اللذين كانا مؤمنين تقيين».[3]

كما يتضح الوفاء في موقف آخر من الرواية فهو وفاء الزوجة **"زهرة"** لحمويها و**"إبراهيم"** التي قاست معه رغم أنها كانت مطلقة ورفضها للزواج مرة أخرى إكراما لحمويها رحمهما الله، واحتفاظها وحرصها على سبحة والدته وإصرارها بإعطائها لإبراهيم عند سماعها بأنه ذاهب للحج، ويتضح ذلك في المقطع السردي الآتي: «كانت هذه السبحة لوالدتك فليرحمها الله حافظت عليها زهرة بحرص، وعندما علمت برحيلك هذا الصباح أصرت على أن ترسلها إليك لأنها أيقنت أنك جديد بأن تحتفظ بها الآن ».[4]

«فقد رفضت أن تتزوج مرة أخرى إكراما لذكرى حمويها اللذين أوصياها بابنهما و هما على فراش الموت».[5]

---

[1]– لبيك حج الفقراء ، ص.80.

[2]– حديث صحيح، رواه أحمد، أخرجه البخاري.

[3]– لبيك حج الفقراء، ص.34.

[4]– المصدر نفسه، ص.70.

[5]– المصدر نفسه، ص.71.

3. حسن السيرة

إنّ حسن الجوار من مكارم الأخلاق التي عرف بها العرب منذ الجاهلية وهو من المضامين الإسلامية التي ينبغي التحلي بها، إنه سلوك اجتماعي حضاري راق، يحسن فيه الفرد إلى من يسكن بجواره ويتجنب إيذائه بقوله تعالى: ﴿يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكُم عند الله أتقاكُم، إنّ الله عليم خبير﴾[1] وفي آية أخرى ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجُنب﴾.[2]

وقد حثنا الإسلام على حسن الجوار من خلال سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي قدم لنا أسمى مثال في حسن الجيرة لقوله صلى الله عليه وسلم« من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم جاره»،[3] وقال أيضا «مازال جبريل يوصي بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».[4]

تتعدد إذا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على حسن الجوار مما يبين لنا الأهمية العظيمة لهذا الخلق الإسلامي الذي تكفل للفرد العيش في أمان وراحة سواء كان الجار مسلما أو غير ذلك، وتحفل روايتنا المدروسة بهذه الخصلة.

فنجد الكثير من المواقف للعم **"محمد"** و زوجته**"فاطمة"** وجيرانهم، مع إبراهيم قبل وبعد التوبة، ومن أمثلة هذه المواقف نذكر «قرر العم محمد جازما: يجب أن تخرج من المنزل ككل الحجاج وليس لمن لا بيت له» وفي مقطع آخر «كانت زوجة الشيخ في

---

[1]– سورة الحجرات، الآية 13.

[2]– سورة النساء، الآية 36.

[3]– حديث صحيح، أخرجه أبو هريرة.

[4]– حديث عبد الله بن عمر وعائشة رضي الله تعالى عنهما.

انتظارهما وقد عبقت الغرفة التي خصصت للاستضافة الحاج بالبخور وكانت تكن له مشاعر الأمومة».

4. قيمة الشوق إلى الأماكن المقدسة (مكة مكرمة –المدينة)

ترتبط قيمة الحج عند المسلمين بالأماكن المقدسة التي يؤدي فيها هذه الفريضة لذا فإن قلب كل مسلم يحترق شوقا لزيارتها والتبرك فيها، فتهفو النفوس إلى معفرة ورضوان من الله تعالي، قال تعالى: ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهنّ الحج فلا رفث ولا فُسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾.[1]

ونجد الكثير من الأدباء المسلمين يتغنّون بمكة والمدينة في نصوصهم يقول أحمد شوقي:[2]

إلى عرفات الله خير زائر * * * * * عليك سلام الله في عرفات

ويوم تولى وجهه البيت ناضرا * * * * * وسيم مجالي البشر والقسمات

على كل أفق بالحجار ملائك * * * * * تزف تحايا الله و البركات

لك الدّين يارب الحجيج جمعتهم * * * * * ليست ظهور الساج والعرصات

ونص رواية "**لبيك حج الفقراء**" لا يخلو من هذا الشعور النبيل نحو البقاع المقدسة فنجد الكاتب يستفتح روايته بالحديث عن الشوق لتلبية نداء الحج «كم من نية مبرورة تتلاشى، وأكثر من أمنية تنسى أمام فكرة السعي تحت شمس مكة ينبغي الإحساس بالنداء الحقيقي للحج النداء الذي لا يقام كي يلبي بقوة لا تقهر إما في الشتاء وإما في الصيف».[3]

---

[1]– سورة البقرة، الآية 197.

[2]– ديوان أحمد شوقي، ديوان الشوقيات.

[3]– لبيك حج الفقراء، ص.01.

ونجد ذلك أيضا عند توديع الحجاج في الميناء «... وتعالت أصواتهم بالهتاف للذين تعرفوا عليهم بأنهم حجاج أنتم السابقون ونحن اللاحقون».[1]

ولعل مشهد الرجل الذي منع من الركوب مع الحجيج يجسّد أسمى معاني الشّوق واللّهفة لزيارة بيت الله.« أريت يا رسول الله لقد تركت زوجتي وأولادي كي أتي إليك لقد قطعت 700 كلم مشيا على الأقدام ولكني لا استطيع أن أذهب أبعد من هذا يا رسول الله»[2] هذا الحاج المسكين الذي حُرم رؤية بيت الله وقبر نبيه، أحزن قلوب الحجاج الآخرين «بكى إبراهيم لآلام الحاج المسكين المطرود ولألمه... بكى أيضا لغناء التونسي الشجي والمحمّل بالحنين الذي ظل يكرر مقطع النشيد متى أعود يا رسول الله».[3]

5. التعايش الدّيني في الرواية

يقر ديننا الحنيف الإسلام بضرورة التعايش بين العقائد والأديان المختلفة، فالخلاف في المعتقد لا يمنع التصاحب واحترام الغير، فالإسلام يحرم إكراه أحد على اعتناق الإسلام لقوله تعالى: ﴿ لا إكراه في الدّين﴾.[4]

والرسول صلى الله عليه وسلم كان جاره يهوديا، إذا مرض عاده وإذا غاب سأل عنه، وتظهر هذه القيمة الدينية السمحة في الرواية في الحوار الذي دار بين الحجاج وذلك الرجل الفرنسي الذي سألهم عن تحريم لحم الخنزير والخمر، أمحمد من حرمهم، وكيف رد عليه بلطف وأدب، وحاولوا شرح القضية له حتى أنهم قدموا له من طعامهم ويضح ذلك في المقطع السردي الآتي: « أنتم أيها المسلمون لا تأكلون الخنزير ولا تشربون الخمر، أمحمد هو الذي يمنعكم».

---

[1]– لبيك حج الفقراء، ص.37.

[2]– المصدر نفسه، ص.89.

[3]– المصدر نفسه، ص.91.

[4]– سورة البقرة، الآية 256.

6. التكافل بين المسلمين

إن التكافل هو أن يكون أفراد المجتمع مشاركين في المحافظة على المصالح العامة ودفع الفساد، ذلك ليكون المجتمع قويا قادرا على مواجهة التحديات امتثالا لقوله تعالى ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾[1] ولقوله أيضا ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إنّ الله عزيز حكيم﴾[2] وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في التكافل «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».[3]

ويظهر التكافل بين المسلمين في الرواية من خلال عدة مواقف، سواء بين الجيران أو الحجاج، ومن أمثلة ذلك ما ورد في المقطع السردي الآتي «هل تدري أنني اضطررت إلى قطع صلاتي حتى لا أدعك تصرخ طوال الليل تحت نافذتي»[4]، كما نلتمس التكافل في عدة مواقف أبرزها وقوف الشيخ "**محمد**" مع جاره "**إبراهيم**" في إجراءات الحج منذ تشجيعه على التوبة حتى ركوبه المركب، وأيضا مساعدة الحجاج بعضهم بعض من خلال تبادل الأكل والمؤونة، ونجد أيضا موقفهم الشجاع مع الطفل "**هادي**" اصغر حاج على المركب ويتضح ذلك في المقطع.

بناء على ما سبق يمكننا القول إن رواية "**لبيك حج الفقراء** ""**لمالك بن نبي**" هي رواية إسلامية تحكي قصة الشاب "**إبراهيم**" ذلك السكير الذي يتحمله جيرانُه إكراما

---

[1]– سورة المائدة، الآية 2.

[2]– سورة التوبة، الآية 71.

[3]– حديث شريف، صحيح البخاري، رواه النعمان بن بشير.

[4]– لبيك حج الفقراء، ص.32.

لذكرى والديه الطيبة، يعود كالعادة كل يوم ثملا هو وصديقه ليجدا العم **"محمد"** الذي يأخذ بيده ويدخله دكانه بعد أن يتسبب بإزعاج كبير للجيران، بدأت قصته برؤية نفسه بملابس الإحرام في المنام ليستيقظ على أذان الفجر فتظهر شعلة التوبة أمام عينيه، يفكر ويتدبر في الرؤية ثم يذهب إلى المسجد مستفسرا عن معنى رؤياه ليسمع بأن قافلة الحجاج ستنطلق اليوم فتنتفظ حواسه بالذهاب للحج، بداية حياة جديدة انطلاقا من الحج، كما أنه يتلقى المساعدة من العم **"محمد"** كعادته والذي يُوَفر له كل التسهيلات للقيام بإجراءات الحج، حتى من جيرانه الذين أزعجتهم، يركب مركب الحجاج وينطلق نحو بيت الله هناك يتعرف على الحجاج من الجزائر وخارجها، وفي طريقه إلى هناك تظهر الفطرة الطيبة "**لإبراهيم**" من خلال أخلاقه والتزامه بالدّين، وحتى من وقوفه الشهم مع ذلك الطفل الذي ركب المركب خلسة، وبعد مرور أيام ومواقف يصل إبراهيم إلى **"مكة المكرمة"** ويؤدي نسكه ليبعث برسالة للعم **"محمد"** يطمئنه فيها عن نفسه ويخبره فيها بأنه استقر مع ذلك الطفل في "**مكة**" وأنه حصل على منصب عمل، متمنيا لحاق زوجته زهرة به.

الفصل الثاني

تحوّلات شخصية البطل في رواية "لبيك حج الفقراء"

المبحث الأول: بناء شخصية البطل وعلاقتها بمكونات الخطاب السردي

المبحث الثاني: مراحل تحول وتطور شخصية البطل

تمهيد:

تمثل البطولة مجموع القيم والمثل الرفيعة التي ترددت في حياة البشر منذ القديم والسمة الغالبة على طبائعهم وسلوكياتهم، معنى ذلك أن البطولة ظاهرة إنسانية ومفهوم حاضر لدى كل الشعوب، فهي تشكل طليعة المفاهيم التي تبدأ بالتغلغل في عقل الإنسان منذ طفولته، من خلال قراءاته الأولى لكتب الحكايات، أو حتى قدرته على فهم معانيها وهو يسمعها من ذويه يتلونها عليه قبل النوم.

ويوجد في حياة كل فرد ومجتمع بطل أو أكثر، يصور القدرة البشرية في ذروتها، إنه البارز والمميز وهو أيضا قيمة أخلاقية ومعنوية ومثل أعلى، كما أنه مصدر زهو المجتمع، ولذلك حظي بمكانة كبيرة في الممارسات الاجتماعية والدينية في كل الحضارات، ومن هنا تبدأ فكرة البطل اجتماعيا وسياسيا وكذلك دينيا، وقد أولت رواية "**لبيك حج الفقراء**" اهتماما كبيرا بشخصية البطل باعتبارها العنصر الفاعل في النّص والشخصية التي حمّلها "**مالك بن نبي**" رؤيته النهضوية والإصلاحية للمجتمع الجزائري، وهو ما سنحاول أن نوضّحه في هذا الفصل من خلال دراسة بنية شخصية البطل وعلاقته بباقي الشخصيات والأحداث والزمان والمكان وإظهار تحوّلاتها عبر المراحل المختلفة لأحداث الرواية.

المبحث الأول:

بناء شخصية البطل وعلاقتها بمكونات الخطاب السردي

1. تعريف البطل الروائي

2. مفهوم البطل في الرواية الحديثة

3. البناء الخارجي والداخلي لشخصية البطل

4. علاقة شخصية البطل بالشخصيات الرئيسية والثانوية

5. علاقة شخصية البطل بالمكان

6. علاقة شخصية البطل بالحدث

1. مفهوم البطل الروائي

1. أ. لغة

ورد في **معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي** «البطل: الشجاع الذي يبطل جراحته ولا يكترث لها، ولا تكفه نجدته وإنه البطل بين البطولة، وبطلني فلان: منعني عملي، وتقول: البطل الرجل هذا، أي: إنه بطل، والبطل الشيء هذا، أي إنه باطل وجمع البطل: أبطال».[1]

وإلى المعنى ذاته يشير **ابن منظور** في **لسان العرب:** «البطل: الشجاع وفي الحديث: شاكي السلاح بطل مجرب، ورجل بطل بين البطالة، والبطولة: شجاع تبطل جراحته فلا يكترث لها ولا تبطل نجادته، وقيل: إنما سمي بطلا لأنه يبطل العظائم بسيفه فيبهرجها وقيل الذي تبطل عنده دماء الأقران، فلا يدرك عنده ثأر من قوم الأبطال».[2]

تكاد تجمع معاجم اللغة العربية على المعنى الذي تقيده كلمة **"بطل"** وهي صفة الشجاعة والقوة الفائقة وهي صفة بارزة فيه، فالبطل هو الذي يعرض نفسه للمخاطر والمهالك.

1. ب. اصطلاحا

نالت دراسة شخصية البطل اهتماما ملحوظ في الرواية والأبحاث المعاصرة، وخضعت لوجهات نظر نقدية متعددة، مستمدة جذورها من المخزون الفكري للكاتب، متضافرة مع مؤشرات خارجية متمثلة في الزمان والمكان، إضافة إلى مؤشرات داخلية

---

[1]- أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت-لبنان، 2003، ص.145.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مج2، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت-لبنان، 1999، ص.432.

كالموهبة وما ينتج عن حالته النفسية، كل هذه العوامل تشكل في الأخير صورة البطل في العمل الروائي.

لفظ **"بطل"** غير منحصر على عالم الأدب بل نجده أيضا في الحالة الواقعية فهو موجود في كليهما، وتطلق هذه الصفة أي صفة البطولة على كل «من يتسم بجملة من القيم الإيجابية في منظومة قيمية معينة تنتسب إلى مجموعة إنسانية محددة، ومن هنا تستعمل هذه العبارة في مجالات مختلفة من عالم الحياة الواقعي وعالم الفن».[1]

من خلال هذا التعريف يتضح لنا أنا لبطل هو الحامل للقيم الإيجابية سواء أكان في الحياة أو في عالم الفن (الأدب)، ومن هنا تعتبر شخصية البطل، من أهم مكونات العمل الإبداعي، كما تمثل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي، ومنه فالبطل الروائي هو الذي تكون قدراته الإنسانية محدودة، مما يميزه عن البطل في الأسطورة القائم على الخوارق وما هي خيالي.

2. مفهوم البطل في الرواية الحديثة

اختفى مفهوم البطل تماما في الرواية المعاصرة «لأن الإنسان لم يعد موجودا كذات»[2] بسبب أن الحياة الجديدة فرضت عليه بما –حملته من تطور سريع ومرعب– الضبابية والغموض، فزالت معها قيم الإنسان الأصيلة أو النموذجية التي استمدها من أمته أو من التاريخ وصار الإنسان مختنقا من ثقل هذه الحيلة الجديدة التي لا يكاد يتنفس أو يحس بذاته فيها يده مشلولة وإدارته مكبلة بالعجز أمام هذا التطور الذي مس الحياة اليومية من وسائل قضت على كل حركة وفطرة في الإنسان.

---

[1]– جويدة حماش، بناء الشخصية، ص.80.

[2]– عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالته، الدار العربية للكتاب، ط2، طرابلس– ليبيا، 1988، ص.21.

وعليه فقد زال البطل كمحتوى أساسي، وتحول إلى مجرد شخصية عادية لا تسلط عليها الأضواء كثيرا فهو عادي في صورته الخارجية، لكنه ظاهر وبطل من حيث محتواه الداخلي والنفسي وبهذا المحتوى «تتجلى الكهوف المظلمة الواقعية من النفس الإنسانية»[1] وبهذا الشكل لم نر من البطل قامته، ولا لون عينه أو سيفه المسلول وإنما هذا البركان النفسي الذي يتفجر في حواره الداخلي ليكشف كل خفي وباطن داخله، نوازعه وأحلامه.

إذا فموت البطل في الرواية الجديدة هو موت الشكل والظاهر والمورفولوجية، الفنتازية، والعجائية، أمّا المحتوى الداخلي للبطل فقد أخذ منحى هذه النفس الإنسانية التي اكتوت بالضجر والعجز من جراء تفسخ قيم الإنسان النبيلة، مما أفرز بطلا يعيش السقوط من أول وهلة، مسلوب الإرادة يتقاسم البطولة مع الشخصيات الأخرى التي تساعده في تشخيص معاناته.

هكذا صار مفهوم البطل في الرواية الجديدة يمثل صراع «الجماعة في سبيل التغلب على هذا الاستلاب»[2]ولم يعد البطل فردا واحدا وإنما مجموعة من الشخصيات المتعددة الأدوار قد تكون رئيسية دائمة الحضور، أو حتى ثانوية تظهر من حين لآخر داخل السرد.

تلك الأهمية التي تنبع من وعيه الاجتماعي ومأساته لذلك استند الروائيون إلى الطرق النفسية والفلسفية، والحوار الداخلي لتمثيل قمة الاستلاب الذي أضحى يعيشه بطل الرواية الجديدة.

---

[1]– محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة–مصر، 1997، ص.531.

[2]– المرجع نفسه، ص.535.

بالموازة مع ذلك لم تعد الرواية تنقل شعوره ووعيه وحدهما بل أضحت تنقل «روح القبيلة أو الجماعة... وشعور كل الناس»[1] ومن ذلك تحول مفهوم البطل إلى مجموعة من الشخصيات التي تتقاسم المحن وتعيش المأساة، وكلما كان عدد الشخصيات الفاعلة في الرواية متنوعا، تجسدت فكرة الرواية ودلت على الأبعاد المتباينة التي يتقاسمها الناس على مختلف مشاربهم بعيدا عن النزعة الفردية التي طلت مسيطرة على البطل القديم.

بناء على ما سبق يمكن أن نقول أن مفهوم البطل في الرواية الجديدة أفضى إلى صنع وحدة روحية بين القارئ والبطل (الشخصية الفاعلة) حول مفاهيم الحياة، واقتربت الفجوة بين القارئ والبطل مما ينتج مناقشة الموضوع الذي ترمي إليه الرواية في دائرة اهتمام موسعة.

هذا المفهوم الجديد الذي اكتسبه البطل الجديد في الرواية المعاصرة حدد تعريفا جديدا قوامه «ضمير المخاطب واختلاط الشخصيات التي تتحول إلى شخص واحد مختصر»[2] ونابت عن البطولة الفردية بطولة جماعية يجتمع فيها ضمير الغائب، أو المخاطب أحيانا وأخرى يكون البطل هو ضمير السارد نفسه.

إن التلاعب بين الضمائر يكون هدفه تحقيق «التميز بين مستويات الوعي واللاوعي المختلفة عند هؤلاء الأشخاص وتعيين أوضاعهم بين الآخرين وبيننا نحن»[3] القراء، وعليه لم يعد يفصل بين الضمائر أو الشخصيات سوى بطولة الوعي أو اللاوعي بينهم وبيننا من خلال أحاديث حقيقية ظاهرة أو مستترة.

---

[1]– ألبيرس، تاريخ الرواية الحديثة، تر، جورج سالم، منشورات عويدات، بحر المتوسط، ط2، بيروت–لبنان، 1982، ص.446.

[2]– ألبيرس، تاريخ الرواية الحديثة، ص.441.

[3]– ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر، فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، ط3، بيروت–لبنان، 1986، ص.105.

وهكذا يصبح البطل شخصية مهمة فقط، وتكمن أهميته في أنه ينقل مجازا عن الآخرين في المجتمع ما يبطنونه من أفكار ومشاعر، وهموم ومآسي، تظهر من خلال حواره الداخلي الذي يعبر عن ما أصاب الإنسان من إحباط وخيبة، مصير تعيس في العصر الحديث أمام تحديات المجتمع وما تفجر منه من قيم داخلية، وصراعات فكرية حادة، فأنت ترى بطل الرواية المعاصرة اليوم يراهن، يتحدى يطمح وينكسر، ويعكس إيمانا متزعزعا وضياعا فكريا وخيبات متتالية، ذلك هو بطل اليوم بكل مواصفات الواقع الراهن.

1.3 البناء الخارجي لشخصية البطل

تعد الشخصية مكونا مهما من المكونات الفنية للرواية، وهي عنصر فاعل في تطور الحكي، إذ يؤدي عنصر الشخصية أدوار عدة في بناء الرواية وتكاملها وطريقة عرضها للأحداث، من خلال مواقفها يمكن تبيان المضمون الأخلاقي والديني للرواية، فكثير من أفكار الكاتب ومقاصده ومواقفه من القضايا المتعددة تصورها الشخصيات، فهي المسؤولة بدرجة أكبر من بقية المكونات الأخرى في عرض الأفكار والتحكم بخط سير الأحداث.

للشخصية في العمل الروائي صفات وملامح خارجية وداخلية تشكل بناءها العام داخل الخطاب السردي، « يقصد بالبناء الخارجي للشخصية الملامح الخارجية لهذه الشخصية: شكل الوجه وحجمه، شكل العينين ولونهما، شكل الأنف، العنق، طول الشخص، عرضه، ما يلبسه، مشيته، طبيعة تحركه، جلسته، نبرات صوته...».[1]

[1]- ضياء غني لفتة وآخرون، سردية النص الأدبي، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، عمان-الأردن، 2011، ص.136.

يوضح نص رواية **"لبيك حج الفقراء"** بشكل جلى الملامح الخارجية لشخصية في أكثر من مقطع سردي نذكر منها «كانت سمات وجهه تتميز بتلك اللّطافة الخاصة التي تدل على انحداره من هذا الوسط البرجوازي الإسلامي، الذي لا يشتغل، والذي كان يعيش حالة من .... قد يكون في الثلاثين من عمره، لون بشرته الباهت الخاص بسكان مدن شمال إفريقيا يكشف عن أصوله الحضرية، كان يرتدي مئزرا طويلا يصل إلى الكعب ومنتعلا حذاء قماشيا ويضع فوق رأسه شاشية متآكلة وعليها دسم القرف»[1] تدهورت حالته الاجتماعية وهذا ما ينعكس على مظهره، وقد بدا في صورة سيئة أي أن هذا المظهر لا يليق بالإنسان المسلم.

إلا أننا لا يمكن أن نتحدث عن الملامح الخارجية دون أن نتوقف عن دلالة اسم البطل وباقي الشخصيات في الرواية، لما للاسم من أهمية تميز الشخصية وتجعلها تنفرد عن غيرها من الشخصيات، وعليه فالاسم يلعب دورا هاما وبارزا في الكشف عن الشخصيات، والتفريق بينهما، فهو ليس مجرد علامة لغوية فارغة من الألفاظ والتراكيب بل يحمل معاني ارتبطت بموضوع الرواية تحديدا، فاختيار الكاتب لاسم **"إبراهيم"** ليتسم به البطل لم يكن اختيارا اعتباطيا.

يسعى الروائي وهو يضع الأسماء لشخصياته أن تكون متناسبة ومنسجمة بحيث تحقق للنص مقروئيته وللشخصية احتماليتها ووجودها، ولعل هذا هو سبب ذلك التنوع والاختلاف الذي يميز أسماء الشخصيات الروائية وهذه المقصدية التي تضبط اختيار المؤلف لاسم الشخصية ليست دائما من دون خلفية، كما أنها لا تنفي الدلالة اللسانية حول اعتباطية العلامة، فالاسم الشخصي علامة لغوية بامتياز وإذن الاسم يتحدد بكونه اعتباطيا، إلا أنّنا نعلم أيضا درجة اعتباطية علامة ما أو درجة مقصديتها فيمكن أن تكون

[1]- لبيك حج الفقراء، ص 33-ص.34.

متغايرة ومتفاوتة[1] ولذلك من المهم أن نبحث في الدوافع الكامنة وراء اختيار المؤلف أسماءً يعينها لشخوص روايته.

2.3 البناء الداخلي لشخصية البطل

يقصد بالبناء الداخلي للشخصية الصّفات النّفسية والعقلية والفكرية والاجتماعية والخلقية والعقائدية التي تتمتع بها الشخصية في النّص: وفيما يأتي اهم هذه السمات التي تشكل البناء الداخلي لشخصية البطل " **إبراهيم**"

أ-البعد النفسي

في هذا الجانب يهتم الكاتب بتصوير الشخصية من حيث مشاعرها وعواطفها وطباعها وسلوكها ومواقفها وغيرها من القضايا المحيطة بها.[2] كما يهتم بتصوير أعماق نفس الشخصية وما يدور فيها، وما الذي تخفيه في باطنها ولكي تكون الشخصية الروائية مفعمة بالحياة، لا بدّ من ارتياد مجاهل عالمها الداخلي واستيطانه وإخراج ما فيها من مشاعر وانفعالات وأفكار.[3]

تحفل رواية "**لبيك حج الفقراء**" بتشخيص الحالات النفسية للبطل فشخصية "**إبراهيم**" هي الشخصية الأكثر اهتماما من قبل الكاتب ولعلّ من بين أهم سمات شخصية البطل النّفسية التي تشكل بناءها الداخلي، كونها تظهر وفق الرواية في صورة حزينة ومتحسرة يعتريها الندم من الماضي السيئ الذي مرّت به، "**فإبراهيم**" كان يشعر بضيق

---

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت-لبنان، 1999، ص.247.

[2] شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصة للنشر، ط1، 2009، ص.39.

[3] فريال كامل سماحة، رسم الشخصية في روايات حنة مينة، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1999، ص.32.

شديد ورغبة في تغيير حاله إلى الأفضل ويتّضح هذا البعد النفسي من خلال عدّة المقاطع السردية نذكر منها: << تملكه إحساس بالضيق شلّه ومنعه من تخطي الباب>>.[1]

إضافة إلى مقطع آخر :<<غمره إحساس بأنّه تخلّص من ضيق كأنّه كان يعيش في داخله حتى هذه اللّحظة دور شخص بغيض...>> [2]

كذلك نجد حالة من "**الخوف**" الذي سيطر على "**إبراهيم**" أثناء تحضيره لإجراءات الحج: << لم يكن يخيفه قلّة توفر المال على ضيق الوقت، فذلك أهون لديه من الخوف من الصعوبات التي قد تعترضه عند مفاتحة العم محمد بالموضوع>>.[3]

هناك أيضا حالة نفسية أخرى "**لإبراهيم**" فهي حالة تمتزج فيها الأحاسيس من إحتقار وإهانة من قبل زوجته "**زهرة**" التي كانت لا تعيره اهتماما:<< أحس إبراهيم بإنّه محتقر من قبل زوجته زهرة التي تبدوا له وكأنّها لا تعيره اهتماما كافيا مثل الذي تعيره للعصفور>>.[4]

إضافة إلى ذلك تملّكه الشعور بالإحراج الشديد وهو جالس عند باب المسجد عندما ظنّ المصلون أنّه متسوّل:<< وقد أشعرته بإحراج شديد لم يجرؤ على جمعها أو إرجاعها إلى أصحابها>>.[5]

بناء على ما تقدّم نخلص أنّ البعد النّفسي بما يتضمنه من مشاعر وأحاسيس وعواطف يسهم في إيضاح البناء الداخلي لشخصية البطل واكتشاف ما يدور في داخلها وما تخفيه من رغبات ومشاعر وأحاسيس كما أنّه يُمكّن القارئ من التّقرب من الشخصية

---

[1] لبيك حج الفقراء، ص.53.

[2] المصدر نفسه، ص.56.

[3] المصدر نفسه، ص.60.

[4] المصدر نفسه، ص.48.

[5] المصدر نفسه، ص.55.

ومعرفة خباياها: <<ابتلع إبراهيم ريقه، وكأنّه جرعة من المرارة يصطحبها شعور بالخجل والألم>>.[1]

إن البعد النّفسي في الرواية هو ذلك الجانب السيكولوجي للشخصية الذي يعكس حالتها النّفسية فهو: << المحكي الذي يقوم به السارد لحركات الحياة الداخلية التي لا تعبر عنها الشخصية بالضرورة بواسطة الكلام إنّه يكشف عما تشعر به الشخصية دون أن تقوله بوضوح، أو عما تخيفه هي نفسها >>.[2]

تتضمن الرواية أيضا جملة من الأوصاف الداخلية نقلها الكاتب لنا على لسان السارد الخارجي: <<يبرع السارد الخارجي في تقديمها بناء على قدرته على معرفة ما يدور في ذهن الشخصية وأعماقها>>.[3]

أي أنّ السارد الخارجي هنا هو الذي يقوم بإبراز ما يدور في ذهن الشخصية وأحوالها النّفسية من مشاعر وعواطف وطبائع وسلوكات ومواقف وغيرها من القضايا التي تحيط بها.

ويتّضح ذلك في المقطع السردي الأتي مثلا: <<شغل بال إبراهيم صراخ الطفل الذي كان يشدّه أحد عمّال المركب من معصمه والحجاج من حولهما يتفرجون تأثر إبراهيم كثيرا بمحيا الصبي المثير للشفقة ورؤية استهزاء العامل...>>.[4]

يصور "**مالك بن نبي**" الحالة النّفسية "**لإبراهيم**" بعبارة واحدة "**حيّ على الفلاح**" وهذا ما تجسد في الرواية في المقطع الآتي:<<هذه العبارة التي لخصت حالته النّفسية في

---

[1] لبيك حج الفقراء، ص.44.

[2] جيرار جنيت، نظرية السرد (من وجهة النظر إلى التبئير)، تر، ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي، ط1، المغرب، 1989، ص.108.

[3] أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، القاهرة_ مصر، 2005، ص.91.

[4] لبيك حج الفقراء، ص.94.

هذه الدقيقة تناهت إليه مثل صدى لحوار داخلي كان قد أفلت من شعوره، فأحس بخفة روحه وكأنّها تخلصت من قيودها الثقيلة التي كان يظن أنّها تنفك عنه أبدا>>.[1]

هكذا جسّد الراوي البعد النّفسي من خلال مزجه لعدّة أحاسيس وحالات من الشعور في آن واحد خاصة أنّ البطل كان يسعى إلى تغيير مجرى حياته التي كان يعيشها في بونة (عنابة) بعدما حصل على الحب والاحترام من جيرانه والحجاج الذين اختلط بهم في مكة:<< خاطبته ب (سي) بهذه الكلمات، في حين تناول يدّها وطبع عليها قبلة ابن، وهما مازالا على عتبة الغرفة التي استقبلته فيها>>.[2]

ب- البعد الاجتماعي:

إذا انتقلنا الى دراسة الشخصية من " **المنظور الاجتماعي**" نجد أنّ علم الاجتماع يهتم بالشخصية بوصفها أحد أسس النّظام الاجتماعي: << فتتحول إلى نمط اجتماعي يعبر عن واقع طبقي، ويعكس وعيا إيديولوجيا>>.[3]

كما يهتم هذا الجانب بتصوير الشخصية من حيث مركزها الاجتماعي وثقافتها وميولها للوسط الذي تتحرك فيه.[4] وقد تجسد هذا البعد الاجتماعي في رواية " **لبيك حج الفقراء**" حيث نجد البطل "**إبراهيم**" في الرواية غير مستقر اجتماعيا، إذ يمثل شخصية منبوذة وغير مرغوب فيه في الوسط الاجتماعي، شخصية يعتريها الخطأ. وهذا ما يتضح في المقطع السردي التالي:<<لكنّه طرد منه لأنه لم يعد مرغوبا فيه>>.[5]

---

[1] لبيك حج الفقراء، ص.51.

[2] المصدر نفسه، ص.68.

[3] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت_لبنان، 2010، ص.39.

[4] شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص.35.

[5] لبيك حج الفقراء، ص.48.

إضافة إلى مقطع اخر :<<لقد كان فوق القلوب >>.[1]

تجسد في الرواية بعدا اجتماعيا اخر يتمثل في تدهور الحالة المعيشية" **لإبراهيم**" بعد التحول الاجتماعي الذي طرأ على الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية حيث كان مظهر "**إبراهيم**" ودكانه المفحم يعكس معيشته المزرية: <<كان يرتدي مئزرا طويلا يصل إلى الكعب ومنتعلا حذاء قماشيا، ويضع فوق رأسه شاشية متآكلة وعليها دسم القرف>>.[2] وفي مقطع آخر<<كانت تتدلّى خيوط العنكبوت من خشب السقف>>.[3] إذ توضّح هذه المقاطع الوضع الاجتماعي المزري الذي كانت تعيشه شخصية البطل "**إبراهيم**".

حيث تعني الشخصية ذلك <<التكامل النّفسي للسلوك عند الكائن الإنساني الذي تعبر عنه العادات والتقاليد والآراء>>.[4]

أي أنّ الشخصية هي مجموع العادات والتقاليد التي تعبر عن تصرفات وأفكار الإنسان في المجتمع. وكذلك نجد "**فمكوف**" و"**واجبون**" يعرفان الشخصية بكونها ذلك:<<التكامل النّفسي والاجتماعي للسلوك عند الكائن الحي>>.[5]

يقول "**مالك بن نبي**" :<<فعندما يحكم الوسط الاجتماعي على شخص ما فالأطفال هم الذين يعدون الحكم بشراسة فينعتون المجنون بالمجنون والسكير بالسكير فهم القضاة المدافعون عن المصالح والأعراف والتقاليد>>. [6]

---

[1] لبيك حج الفقراء ، ص.78.

[2] المصدر نفسه، ص.34.

[3] المصدر نفسه، ص.34.

[4] العلمي مسعودي، الفضاء المتخيل والتاريخ في رواية كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد، لواسيني الأعرج، شهادة الماجيستير (مخطوط)، تخصص أدب جزائري معاصر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2009-2010، ص.135.

[5] سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، ط2، بيروت_ لبنان، 1983، ص.118.

[6] لبيك حج الفقراء، ص.50.

يقدم نص الرواية مختلف أنواع نشاط الإنسان المتعلق بالحياة الاجتماعية بالإضافة إلى الحيز الذي يتأقلم فيه، ويتمثل في انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية وفي عمل الشخصية وفي نوع العمل ولياقتها بطبقتها في الأصل وكذلك في التعليم، وملابسات العصر وصلتها بتكوين الشخصية، ثم حياة الأسرة في داخلها الحياة الزوجية والمالية والفكرية فقد عبرت الرواية عن الحياة الاجتماعية الزوجية "**إبراهيم**" والتي كانت بدورها حياة فاشلة غير مستقرة أدت إلى طلاقه من زوجته "**زهرة**" بسبب سوء تعامله وتبين ذلك في المقطع التالي: <<كانت تعاني منذ مدة سلوك إبراهيم غير السوي >>.[1]

تجسد هذا البعد الاجتماعي في الرواية أيضا من حيث الدين والجنسية والتيارات السياسية والهوايات السائدة في إمكان تأثيرها في تكوين الشخصية.[2] فقد كان "**إبراهيم**" شغله الشاغل إن كان الصينيون يتحدثون الحمد لله مثلنا؟ <<لقد سمع حينها الرجل والمرأة وهما يتحدثان إذ لم يفهم منهما حرفا واحدا. كان شغله الشاغل معرفة إن كان بإمكان هذه المرأة الصينية إتمام مناسك الطواف وخاصة السعي حين يجب الإسراع، كان يضن كلّ النّساء الصينيات مسلمات>>.[3]

كان هذا الأمر بالنسبة "**إبراهيم**" معضلة اجتماعية لم يجد لها حلا.

4. علاقة البطل بالشخصيات الرئيسية والثانوية

تمثل شخصية البطل المحور الأساسي في الأعمال الأدبية عموما، والروائية على وجه الخصوص، بحيث يحضر البطل على مستوى النص بشكل مستمر، وبالتالي يكوّن علاقة بينه وبين باقي الشخصيات، كما نجده أيضا يرتبط بالروائي، فقد يلجأ الكاتب إلى تمرير أفكاره ومعتقداته السياسية والثقافية والاجتماعية من خلال شخصية البطل، من هنا

---

[1] لبيك حج الفقراء، ص.46.

[2] محمد غنيمي هلال، النقد الادبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1997، ص.573.

[3] لبيك حج الفقراء، ص.92.

يتضح لنا مدى التفاعل وكذا العلاقة التي تجمع بين البطل والروائي وهي: <<علاقة خاصة تبدو معقدة متشابكة في أحيان كثيرة – فالروائي– الكاتب، يعمد إلى اختيار شخصياته لتقوم بعملية السرد، ويسند إليها مسؤولية تنفرد بها عن شخصيات روايته وهذا ما يوطد أواصر الصلة بين "السارد و الروائي" >>.[1]

حيث أنّه توجد علاقة وطيدة ومعقدة بين الراوي والروائي.

قد يضطلع البطل في كثير من النصوص الروائية لماهية الراوي الذي يفرض سلطته على بقية الشخصيات.

وكذا نجد علاقة وطيدة بين الراوي والشخصيات الأخرى في الرواية:<<تحددها علاقة الروائي بالراوي الذي يمنحه في كثير من الروايات بعض سلطته، فيسمح له بالتدخل في سلوك الشخصيات وفي اختراق أفكارها وكشف أسرارها، كما يسمح بالتدخل في سيرورة أحداث الرواية والتعليق عليها وتجسد الروايات الكلاسيكية هذا النوع من العلاقة بين شخصية الراوي والشخصيات الأخرى في الرواية>>.[2]

وعليه نستطيع القول بأنّ شخصية الراوي (البطل) هي بنية من بنيات السرد الواجب توفرها في السرد الروائي الذاتي، إذ أنّ البطل ذو شخصية فاعلة في العالم الروائي بحيث يسند إليه دور مهم داخل العمل الحكائي، كونه المساهم الرئيسي في سير الأحداث، مؤثر ومتأثر، شخصية البطل تدخل في شبكة علاقات متعددة مع الشخصيات الأخرى، وتحدد هذه العلاقات أنماط هذه الشخصيات في الكثير من الأحيان، وشخصية البطل لا تتأتى إلا بوجود عناصر مساعدة نذكر متها الشخصيات الثانوية التي <<تضيئ

[1] سحر شبيب، (البنية السردية والخطاب السردي في الرواية)، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، ع14، 2013، ص.8.

[2] المرجع نفسه، ص.8.

الجوانب الخفية أو المجهولة للشخصية الرئيسية وتكون أمينة سرّها فتبوح لها بالأسرار التي يطلع القارئ عليها>>.[1]

ومن بين الشخصيات المساعدة في رواية "**لبيك حج الفقراء**" التي ساهمت بدورها في تحريك الأحداث، والتي لها علاقة مباشرة مع البطل نذكر:

1. شخصية "**هادي**": هو ذلك الطفل اليتيم الطائش المتشرد، الذي قرر هو الاخر تغيير حياته بالقيام بمغامرة عجيبة وهي الذهاب إلى الحج إلى بيت الله الحرام، نوضح ذلك في المقطع السردي الآتي:<<يا سيدي، هذا الطفل مسكين، يريد فقط أن يحجّ، ليس له أبوان يدفعان عنه المستحقات ولكن إن أردت سندفع بدلا عنه...>>.[2]
2. شخصية" **العم محمد**": يعدّ من الشخصيات القريبة ذات العلاقة الوطيدة مع البطل "**إبراهيم**"، فقد كان بمثابة اليد المساعدة والمساندة "**لإبراهيم**"، حيث إنّه يمثل الرجل المستقيم الراقي بتصرفاته، كما أنّه كان يمثل الأصالة المتجدرة في الأمة<<إنّ العم محمد كان يفكر في الوقت نفسه بإيوائه وأن يفتح له بقالة بميزانية صغيرة على أمل أن تنقذه من هذا الوحل السيئ الذي غاص فيه >>.[3] أي أنّ العم "**محمد**" كان يساعد ابراهيم حتى يتخلص من عربدته وحياته الماجنة.
3. شخصية "**زهرة**": تمثل المرأة الصبورة الصامدة، حيث ضلت زوجة "**إبراهيم**" رغم ما عاناته من ويلات ومجون زوجها وسهراته الليلية، كانت "**زهرة**" رغم ذلك تكنّ له كلّ الاحترام وتتمنى له الخير والصلاح، نبين ذلك في المقطع السردي الاتي :<<فكر في هذه الزوجة المصلحة التي اختارها له والده والتي تقاسمت معه الأمرّين، تراءت له من جديد مشاهد من حياته الزوجية التي صبغتها حالات سكرة

---

[1] عبد القادر أبو شريفة وآخرون، مدخل الى تحليل النص الأدبي، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط1، عمان– الأردن، 2008، ص.135.

[2] لبيك حج الفقراء، ص.97.

[3] المصدر نفسه، ص.49.

بالسواد كما تفعل السحب بالأفق في أيام عاصفة>>.[1] أي أنّ "**زهرة**" عانت الكثير مع "**إبراهيم**" بسبب سوء أخلاقه وكثرة سكره.

4. شخصية "**فاطمة**": زوجة العم "**محمد**" جارة "**إبراهيم**"، نبين ذلك في المقطع السردي الاتي: <<كانت زوجة الشيخ في انتظارهما وقد عبّقت الغرفة التي خصصت لاستضافة الحاج بالبخور. كانت تكنّ له مشاعر أمومة لأنّها رأته وهو يكبر، وكذلك بسبب أهله الطيبين الذين رافقتهم حتى آخر لحظة في حياتهم ... >>.[2]

5. المكان

يمثل المكان مكونا محوريا في بنية السرد، حيث لا يمكن تصور حكاية من دون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أنّ كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين.[3]

يعني أنّ المكان هو مكوّن من مكونات البنية السردية شأنه شأن الشخصيات والأحداث والزمن، فلا يمكن تصور حكاية دون حيز مكاني تدور فيه الأحداث وتتفاعل فيه الشخصيات.

يعرفه "**حميد لحميداني**" بقوله:<<هو بمثابة العمود الفقري لأيّ نص بدونه تسقط تلقائيا العناصر المشكلة له >>[4] وأنّه <<عنصر فاعل ومكون جوهري من مكونات

[1] لبيك حج الفقراء، ص.71.

[2] المصدر نفسه، ص.68.

[3] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، دار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت،–لبنان، 2010، ص.99.

[4] حميد لحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1991، ص.4.

الرواية ولا يقتصر دوره على كونه وعاء الشخصية والحدث بل يصبح صاحب السيادة المطلقة في إنتاج الشخوص والأحداث ... >>.[1]

يرى "**غاستون باشلار**" **Gaston Bachelard** <<أنّ العمل الأدبي يفقد خصوصيته وأصالته إذ فقد المكانية>>.[2] والأماكن باختلافها تعدّ عاملا فعّالا، بناء في العمل الروائي سواءاً كان هذا المكان باهتا أو كان واضحا أم عاطفا في حركته أم ساكنا في نقله، متدفقا في سيولته أم كثيفا وضاغطا.

كما تختلف الاماكن شكلا وخرجنا ومساحتا فمنها الضيق والمغلق والمتسع والمفتوح والمرتفع والمنخفض والمتصل، ومن بين هذه الأنواع نذكر منها:

أ-المكان المفتوح:

المكان المفتوح حيز مكاني خارجي لا تحدده حدود ضيقة، يشكل فضاء رحبا وغالبا ما يكون لوحة طبيعية للهواء الطلق.[3]

يوحي المكان المفتوح بالاتساع والتحرر، ولا يخلو الأمر من مشاعر الضيق والخوف: لا سيما إذا كان المكان المفتوح في أمكنة الشتات والمنافي والمخيمات، ويرتبط المكان المفتوح بالمكان المغلق ارتباطا وثيقا، ولعلّ حلقة الوصل بينهما هي الإنسان الذي ينطلق من المكان المغلق إلى المكان المفتوح، توافقا مع طبيعته الراغبة دائما في التحرر، وهذا لا يتوفر إلا في المكان المفتوح.[4] ومن بين الأماكن المفتوحة في الرواية

---

[1] هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، عمان- الأردن، 2004، ص.277.

[2] غاستون باشلار، جماليات المكان، تر، غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت- لبنان، 1984، ص.5-6.

[3] أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الثورية (دراسة بنيوية لنفوس ثائرة)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ص.51.

[4] حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، مركز اورغاريت الثقافي، ط1، رام الله،2007،ص.166.

- **الشارع:** احتل الشارع في الرواية العربية من قبل الروائيين الذين كتبوا روايات عن المدن العربية مكانا بارزا في الرواية العربية ،كانت له جمالياته المختلفة باعتباره مسارا أو شريانا للمدينة، وفي الوقت نفسه المصب الذي يصب فيه الليل والنهار أشغالهما وتجلياتهما، فهو المسار والنصب في آن واحد.[1]

يكثر ظهور "**الشارع**" في الرواية :<<لقد أزعج صوته الهدوء الذي كان يسود على "**الشارع**" وفجأة فتحت نافذة مشربية المنزل المقابل، حيث لاح خيال شخص، تحت ضوء الستار المسدول والمصاريع المدفوعة. بدا الخيال منحنيا على الشارع هنيهة، تم تراجع ساحبا وراءه المصاريع >>.[2]

ومن الأماكن المفتوحة أيضا في الرواية نجد "**الأزقة**" :<<الأزقة التي كانت تعجّ بالناس في الصباح، أمست الان خالية وانطفأت أنوار المتاجر الواحد تلو الآخر كما تنطفئ أنوار فوانيس عرس قد انتهى>>.[3]

ب المكان المغلق:

يمثل المكان المغلق الحيز الذي يحوي حدودا مكانية تعزله عن العالم الخارجي ويكون محيطه أضيق بكثير من المكان المفتوح، فقد تكون الأماكن الضيقة مرفوضة لأنّها صعبة الولوج وقد تكون مطلوبة لآنها تمثل الملجأ والحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيدا عن صخب الحياة.[4] <<إذ تؤدي الأمكنة المغلقة دورا محوريا في الرواية، لإنّها ذات علاقة وثيقة لتشكيل الشخصية الروائية وتتفاعل معها، وتتفاعل هذه الأمكنة المغلقة مع

---

[1] شاكر النابلسي، جماليات المكان في الروايات العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت –لبنان، 1994، ص.65.

[2] لبيك حج الفقراء، ص.32.

[3] المصدر نفسه، ص.31.

[4] أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة، ص.51.

الأمكنة المفتوحة بإيجابيها وسلبياتها، فتعدوا هذه الأمكنة المغلقة مليئة بالأفكار والذكريات والآمال والترقب، وحتى الخوف والتوجه >>.[1]

فالأماكن المغلقة ماديا واجتماعيا تولد المشاعر المتناقضة والمتضاربة في النّفس، وتخلق لدى الإنسان صراعا داخليا بين الرغبات وبين المواقع...

ومن بين الأمكنة المغلقة في الرواية:

"**البيت**": البيت بوصفه مكانا مغلقا، دلالة مزدوجة، سلبية وإيجابية، فانغلاقه يعني في الغالب، مزيدا من الأمان والطمأنينة، والأهم من ذلك مزيدا من الحرية، فالبيت يختلف عن غيره من الأمكنة الأخرى المغلقة في أنّ الإنسان يمارس فيه الحرية كيفما يشاء ومتى يشاء فيتصرف على سجيته، دون تكلف أو خوف وحرج وهذا كله يعني أنّه مكان للإقامة الاختيارية، حيث يسعى إليه سكانه بإرادته دون قيد أو ضغط. [2]

"**للبيت**" دلالات عديدة الطمأنينة والأمان والاستقرار يمارس فيه الانسان حريته بطريقة عفوية دون تكلف أو إحراج من عين رقيب بالإضافة إلى كونه يحفظ ذاكرته ويتضمن تفاصيل حياته الأشد خصوصية وحميمية.[3]

يتضح ذلك في المقطع السردي التالي :<<وقد تنهد الان برغبة مبهمة منه في الهروب لكنّ الحنين إلى الماضي ملك فكره إذ طفت صورتان في ذاكرته فتراءى له أبوه وأمّه عندما كانا على قيد الحياة كانت حياتهما ميسورة كلها تقوى وانتظام في هذا البيت

[1] حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، ص.166.

[2] حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، ص.134.

[3] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص.106.

المقابل الذي يقطنه العم "**محمد**"، وفي هذا البيت نفسه كان "**إبراهيم**" قد تزوج لكنّه طرد منه لأنه لم بعد مرغوباً فيه بسبب سوء سلوكه>>.[1]

إضافة إلى مقطع سردي اخر من الرواية فيه وصف للبيت الذي كان يسكنه "**إبراهيم**" << كانت الساعة الثانية زوالا، وفي البيت الذي يقيم فيه العم محمد حاليا حيث كان يسكن مع زهرة في غرفتين في الطابق العلوي>>.[2]

"**المسجد**": هو ذلك المكان المقدس الطاهر الذي يلجأ إليه المصلون للتقرب من الله عزو جل: <<تردّد إبراهيم لحظة في الخارج، ثمّ اتجه بعفوية نحو الشمال باتجاه "**المسجد**" الذي لاحت له منارته السامقة في سماء لونها خبازي امتزج بلون وردي باهت. عندما انتهى إلى الساحة، رأى أطيافا بيضًا تدخل المسجد من الباب المركزي الذي يؤدي الى مدخل مغطى تنيره أضواء تنبعث من قاعة الصلاة. اتجه "إبراهيم" بعفوية نحو الأضواء صاعدا أدراج المدخل ولكنّه لم يجرؤ على تخطي عتبة باب المسجد، حيث تناهت الى مسامعه همسة عادة ما تسمع عند أبواب المساجد في أوقات الصلاة>>.

1.5علاقة البطل بالمكان:

ارتبط البطل في رواية في رواية "**لبيك حج الفقراء**" بالمكان ارتباطا وثيقا، وبدوره انعكس المكان على شخصية البطل حيث نجد "**بونة**" تمثل المحطة الرئيسية للبطل "**إبراهيم**" حيث وضع "**مالك بن نبي**" القارئ في الأجواء التي كان يعيشها الإنسان الجزائري البسيط في كل مدينة جزائرية كعنابة (البونة): <<إن عنابة كانت تعيش في

[1] لبيك حج الفقراء، ص.45.

[2] لبيك حج الفقراء ، ص.46.

عرس وكانت تستقبل الجميع الوافدين بالقطارات والذين كانت بواخرهم قد أرست، فينتشرون في المدينة للتزود بالزاد الذي يكفيهم للرحلة أو الصلاة في المسجد>>.[1]

يشارك المكان في توليد معني النص الروائي، فهو لم يعد عنصرا ثانويا في الرواية فقد صار عنصرا أساسيا للعمل الروائي يتخذ أشكالا، ويحمل دلالات مختلفة. لذا يضع الكاتب في اعتباره وهو يشكل الخطاب الروائي علاقة المكان بالشخصية حيث يعمل على أن يكون بناء فضائه موافقا لطبائع الشخصيات، حتى لا يقع في مفارقات تربك البناء العام للرواية، نظرا للعلاقة الجدلية بين العنصرين فبإمكان المكان الكشف عن نفسية البطل والمساهمة في نموه وتطويره وقد يكون سببا في تغيير حياته ووجهات نظره، مما يساعدنا على فهم تصرفات الأبطال وقراءة نفسياتهم وطريقة حياتهم وكيفية تعاملهم مع بيئتهم وأحداثها.[2]

نلمس تأثير المكان في بناء شخصية البطل، حيث كان يؤثر على البطل تارة بالإيجاب وتارة بالسلب فمثلا "**البيت**" انعكس على حالة البطل "**إبراهيم**" إذ لم يكن مرغوبا به بالعيش فيه بسبب سوء سلوكاته مع جيرانه وزوجته "**زهرة**" يتجسد ذلك في المقطع السردي الاتي: << لم يتقبل الجيران أن يكون بينهم مطلق وسكير >>.[3]

أمّا الميناء فنجده يمثل مكان السعادة ولاطمئنان والهدوء بالنسبة للبطل "**إبراهيم**" لأنّه لم يعد يشعر بالألم عند تذكره لماضيه الذي مكنه المركب من رؤية تفاصيله على الميناء.[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص.29.

[2] الشريف حبيلة، مكونات خطاب سردي، مفاهيم ونظرية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، أربد- الأردن، 2011، ص.45.

[3] لبيك حج الفقراء، ص.77.

[4] المصدر نفسه، ص.81.

وإذا كانت الشخصيات هي التي تنتج أحداث الرواية، فإنّه لا يمكنها القيام بذلك إلا ضمن حيز مكاني محدّد، فهو من المقومات الأساسية التي يبنى عليها الحدث، وهو الذي يمنح دراميته باحتوائه الحدث كديكور يحمل صفات مميزة تعمل على إبرازه أكثر وجعله مسرحيا دراميا، فيشترك مع الشخصيات في تشكيل الأحداث ويؤطرها في الوقت نفسه، لا يتشكل هو الاخر إلا بالأحداث التي تنجزها الشخصيات فيكون إلى جنبها عنصرا يرسم الحكي ويوجهه.[1]

وبالعودة الى نص الرواية نجد أنّ البطل تربطه علاقة وطيدة بالمكان الروائي فمثلا "**بونة**" التي وقعت فيها معظم الأحداث ذات الحمولات العديدة تنعكس سمات هذه المدينة على البطل لما يعكس هو طبائع بعض سكانها:<<تلاشى الميناء الذي لم يعد يراه، كما تلاشت ذكريات بونة من مخيلته ولم يبق لم من المدينة التي غابت عن عينه سوى ذكرى رقيقة يلفّها حزن هادئ>>.[2]

ومنه تتضح العلاقة بين البطل والمكان وتأثير كل منهما على الاخر ولا نستطيع الاكتفاء بالحديث عن علاقة البطل بالمكان دون أن ندرج أهمية المكان أو علاقته بالشخصيات الأخرى كذلك.

إنّ التفاعل بين الأمكنة والشخوص شيء دائم ومستمر في الرواية، مثلما هو دائم ومستمر في الحياة، حتى أنّه يمكن القول إنّ وصف البيئة هو وصف لمستقبل الشخصية، ذلك أن الأماكن تنعكس عليها صورة الشخصيات ينكشف من خلالها بعدها النفسي

[1] الشريف حبيلة، مكونات خطاب سردي، مفاهيم والنظرية، ص.45-46.

[2] لبيك حج الفقراء،ص.81.

والاجتماعي، إنّ المكان يسهم في وسمها بمظاهرها الجسدية ولباسها وسلوكها وعلاقتها بسواها.[1]

ومن أمثلة علاقة شخوص الرواية بالمكان نجد علاقة "**إبراهيم**" بالطفل "**هادي**" الذي كان يراعيه ويهتم به في المركب، فكان يخالجه شعور الأبوة اتجاهه: <<كانت تخالجه مشاعر أبوية نحو الولد مختلطة بإعجاب أحس به بدون أن يشعر >>.[2]

يتضح لنا من خلال هذا المقطع علاقة "**إبراهيم**" مع الطفل "**هادي**" من خلال تعاطفه معه والاعتناء به أثناء فترة السفر في "**المركب**" وحصوله على الاحترام والوّد من قبل "**هادي**" بعدما كان يناديه. ب: "**بوقرعة**" وتخلصه من ماضية السيئ الذي مرّ به في مدينة عنابة (بونة).

إنّ العلاقة بين الشخصيات والمكان تكمن في أنّ هذا الأخير يعكس صورة الشخصيات ويكشف عن سلوكاتهم فهناك رابط قوي يجمع بينهما.

يعمل المكان أحيانا على تحفيز الشخصية للقيام بالأحداث واتخاذ موقف ما، وتحديد الخط الذي تسير فيه من خلال اختيار الروائي الأوصاف التي سوف يلصقها لها.[3]

وبنفس الدرجة تعمل الشخصية على التأثير في المكان إذ أنّه لا يظهر إلا من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه أو تخترقه وهو ليس لديه استقلال إزاء الشخصية التي تندرج فيه.[4]

---

[1] عبد المنعم كرياء القاضي، البنية السردية في الرواية، عينة للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة– مصر، 2009، ص.139.

[2] لبيك حج الفقراء، ص.118.

[3] الشريف حبيلة، مكونات خطاب سردي، مفاهيم والنظرية، ص.46.

[4] عبد المنعم كرياء القاضي، البنية السردية في الرواية،ص.103.

بناءً على ما تقدم نخلص إلى أنّه لا يمكن الفصل بين الشخصية والمكان باعتبار أن هذا الاخير ليس مجرد إطار للأحداث فحسب، وإنّما هو تشكيل حي ذو فاعلية في تحريك الشخوص والأحداث.

يمكننا القول أيضا من خلال دراستنا للرواية أنّ الراوي وظّف هذا المكان (بونة) بصفة عامة و"**الدّكان**" بصفة خاصة ليجعله صورة للضياع والمتاهة، حيث قدم المكان بونة من منظور نفسي متأثر بأحداث وقعت فيه ومرتبط بالشخصيات الروائية كنتيجة لوعيها به من خلال تعاطيها معه، فرغم طفولة البطل الجميلة التي عاشها في بونة مع عائلته إلا أنّ الدّكان صار مصدر حزن بالنسبة "**لإبراهيم**" عندما أضطر لمغادرته فقد فظّل الاستقرار في المدينة:<< وكان دخان الشمعة يملأ المحل ويزعجه فجأة أراد الخروج منه وقد أحس بنفور اتجاه المكان وكل الأشياء المحيطة به >>.[1]

إضافة إلى مقطع سردي آخر الذي شهد فيه ميناء "**بونة**" ضياع "**إبراهيم**" ومتاهته: <<مكث إبراهيم في مكانه يجول ببصره في ميناء "بونة" الذي شهد ليالي ضياعه وسكره>>.[2]

[1] لبيك حج الفقراء، ص.52.

[2] المصدر نفسه، ص.77.

إنّ النّص الروائي من حيث كونه حكاية فان الأحداث تستند إلى شخصيات تقدمها <<وهناك علاقة أكيدة بين الشخصية والحدث، فالشخصية لا يبرز وجودها إلا الحدث الذي تقوم به أو بجزء منه والحدث لا يمكن أن يقام به إلا ليطور شخصية تتأثر به>>.[1] والحادثة في العمل الروائي هي "مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة وهو يمكن تسميته بالإطار، أو هي تلك السلسلة من الوقائع المسرودة سردا فنيا والتي يعمها إطار خاص".[2]

6 علاقة البطل الروائي بالحدث

يشكل البطل ضرورة ملحة للعمل الروائي، وهو عبارة عن مجوعة من المتناقضات المتفاعلة وتتبع أهميته من مدى تأثيره فيمن حوله ومن الدور الذي يؤديه في المجتمع والبطل عبارة عن حقيقة مادية وموضوعية مرتبطة بالزمان والمكان، وليس وهماً.[3]

إنّ شخصية البطل هي الشخصية المركزية التي يختارها الروائي للتعبير عن أفكاره وأحاسيسه، كما أنّها تعتبر من أهم الشخصيات في العمل الروائي حيث تتمتع هذه الشخصية الفنية المحكم بناؤها بالاستقلال، في الرأي والحرية في الحركة داخل مجال النص القصصي.[4]

---

[1] يوسف حطيني، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، منشورات اتحاد كتب العرب، ط1، دمشق، سوريا، 1999، ص.13.

[2] عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة- مصر، 2000، ص.104.

[3] محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة (في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967-1993)، اتحاد الكتاب العربي، ط1، دمشق- سوريا، 1996، ص.38.

[4] شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، ص.32.

يعتمد "**توماس شلفسكي**". **Toma chevski** معيارا ذا طبيعة عاطفية، فيميز البطل الروائي بقوله:<< الشخصية التي تتلقى السعة العاطفية الأكثر تسمى البطل وهي الشخصية التي تستثير التأثر التعاطف والفرح والحزن لدى القارئ >>.[1]

يعد البطل الشخصية الرئيسية زعيمة اللغة السردية وهو أيضا الشخصية التي تعطي للحدث حركية والتي يسميها "**سوريو**" بالقوة التيماطيقية .[2]

مما تقدم يمكن القول بأنّ شخصية البطل هي بنية من بنيات السرد الواجب توفرها في السرد الروائي الذاتي، فهو شخصية فاعلة في العالم الروائي بحيث يسند إليه دور مهم داخل العمل الحكائي، كونه المساهم الرئيسي في سير الأحداث والمؤثر والمتأثر بها.

والبطل باعتباره شخصية رئيسية في العمل الروائي يتواتر ذكره طوال النص وتضطلع بدور مركزي فهو عنصر أساسي في البنية السردية تقوم بدور مركزي في الحكي.[3]

<<والشخصية الرئيسية هي البطل وهذا ما ذهبت إليه فاطمة الزهراء محمد سعيد حيث تطلق اسم الأبطال على الشخصيات >>.[4]

يتضح لنا من خلال هذا أنّ الشخصية الرئيسية هي العنصر الهام في الرواية فهي تمثل المركز الذي يدور حوله العمل الفني وهي التي تتمحور حوله بطولة الرواية.<<تستند للبطل وظائف وأدوار لا تستند إلى الشخصيات الأخرى، وغالبا ما تكون

---

[1] عبد العالي بو طيب، مستويات دراسة نص الروائي (مقارنة نظرية)، مطبعة امنية، ط1، دمشق-سوريا، 1999،ص.

[2] أحمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد الادبي العربي الحديث، دار الصفاء للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص.386.

[3] سعيد يقطين، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، مركز الثقافي العربي بيروت، ط1، الدار البيضاء، 1997، ص.93.

[4] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ديوان المطبوعات الجامعيةـ، ط1، الجزائر، 1995، ص.125.

هذه الأدوار متمنة (مفضلة) داخل الثقافة والمجتمع>>.[1] حيث يختار المؤلف الروائي شخصية ما تستدعي انتباهه ويظهر عناية فائقة بها، ويعطيها الأولوية بوصفه الشخصية الرئيسية نقطة استقطاب لعدد من الشخصيات كما يعتني بتكوينها العام وأبعادها الاجتماعية والنفسية لما لها من أثر فعّال في اشتعال الأحداث وذلك يخلق تطورات جديدة مستندة إلى قراراتها الصارمة المتحدية والمعبرة عن إرادة عالية في كثير من الأحيان، وبهذا تكون شخصية البطل الشخصية الرئيسية القادرة على توالديه الحدث والأحداث.[2]

بناء على ما سبق يمكن القول إنّ شخصية البطل هي محور الرواية والركيزة الأساسية التي يقوم عليها العمل السردي، كما أنّها تقود الفعل (الحدث) وتدفعه إلى الأمام وتساهم في إعطاء الحركة داخل النص الروائي لأنّ مدار الأحداث يقع حولها، وقد تكون شخصية البطل شخصية متعددة في السرد الواحد.

من أبرز أحداث الرواية حلمه **بالكعبة** الأمر الذي ساعده في تغيير حياته إلى الأحسن والتخلص من عربدته واستهتاره :<<فجأة وفي هذا المكان انقطع مشهد الذكريات من ذهنه وكأنّ ستارا حاجبا سقط فغطّى ذلك المشهد وعاد إلى ذاكرته ذلك الحلم الذي حاول إبراهيم استشعاره وتذكّر فجأة "أجل حلمت بالكعبة".... شيئا فشيئا بدأ حلمه يتضح، لقد رأى نفسه في لباس الإحرام اللباس الذي يرتديه الحاج خلال أدائه لتلك المناسك>>.[3]

إضافة إلى ذلك "صوت الآذان" الذي أثر على نفسية البطل "**إبراهيم**" <<استمع إبراهيم إلى هذا الصوت الذي يشدوا كل صباح على امتداد آفاق الاسلام كأنّه لم يسمعه منذ أمد بعيد، سمعه كمن أيقظه بعد نوم عميق لينادي إلى الصلاة كان يحس وكأنّ الآذان

---

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص.53.

[2] منصور النعمان، فن كتابة الدراما للمسرح، الإذاعة والتلفزيون، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، الردن، 1999، ص.99.

[3] لبيك حج الفقراء، ص.38.

قد أيقظه من سبات دام لسنوات طوال، هذا الصوت ــيقظ فيه أيضا أصداء بعيدة، فتذكر أنّه في مثل هذا الوقت كان ينهض والده لكي يتوضأ ويصلي.

وردد الصوت نداءه الأخير على المدينة النائمة: **حي على الفلاح، الله أكبر، لا إله الا الله.** وهو يستمع إلى النداء الذي تلاشى ببطء في السماء، تراءى له بغموض تناقض ما كان قد تجلّى بداخله من قبل في هذه اللحظة كان إحساسه بالاستسلام إلى (المكتوب) ذلك الانجذاب الذي أحدثه صوت المؤذن في نفسه يتصادمان >>.[1]

رواية "**لبيك حج الفقراء**" مفعمة بالأحداث المرتبطة ارتباطا وثيقا بالبطل "**إبراهيم**" يتضح ذلك من خلال الحدث الذي صادف "**إبراهيم**" وهو على عتبة باب المسجد، بسماعه لأحاديث المصلين عند خروجهم من المسجد يتحدثون من مركب الحجاج، حينها وجد "**إبراهيم**" تفسيرا للحلم الذي راوده بلذّة :<<توالت أفواج أخرى من المصلين في الخروج من المسجد يتحدثون فيما بينهم وبينما يرمي بعظهم بقطع نقدية إلى إبراهيم إذ علقت بأذنيه بعض أحاديثهم والتي ارتكزت أساسا على حدث اليوم:

- إذن ستقلع باخرة الحجاج عند الساعة العاشرة؟.
- هذا المساء أو غدا، سوف نقل حجاج تونس...

إنّ فكرة إقلاع الباخرة تبنت بإصرار في ذهن إبراهيم وقد أوحت إليه أمرا مفاجئا، إذ تساءل فجأة في نفسه: ماذا لو ذهبت أنا أيضا معهم؟ كان يبرق وميض في عيني إبراهيم. لقد وجد أخيرا تفسيرا لحلم الليلة السابقة>>.[2]

[1] لبيك حج الفقراء، ص.50-51.

[2] المصدر نفسه، ص.37.

المبحث الثاني:

مراحل تغيّر وتطوّر شخصية البطل في رواية " لبيك حج الفقراء

"

1. مراحل تحوّل وتطوّر شخصية البطل

1. مراحل تحوّل وتطوّر شخصية البطل:

تحولت شخصية البطل "**إبراهيم** "في رواية "**لبيك حج الفقراء**" من شخصية سكير مستهتر إلى شخصية ملتزمة أو إلى شخصية مسلم تقي ويتضح ذلك من خلال المقاطع السردية التالية التي تصوّر لنا حياة "**إبراهيم**" قبل توبته وصلاحه «كان إبراهيم قد خرج ثملا، عندما غادر المتجر لكي يواصل شرابه في أماكن أخرى بالقرب من المحطة»[1] وفي موضع اخر نجد الكاتب يوضح أكثر حياة البطل "**إبراهيم**" وسلوكه غير الأخلاقي قبل توبته وصلاح حاله «لكن إبراهيم واصل بصورة مستمرة تدنّيه أكثر فأكثر نحو القاع» [2]

ينتقل الكاتب إلى موضع اخر في الرواية حيث يصوّر لنا مرحلة أخرى من حياة "**إبراهيم**" وهي مرحلة جديدة أو حياة جديدة بالنسبة "**لإبراهيم**" بعد تغيره أي بعد توبته أو خضوعه لله تعالى وأدائه لمناسك الحج ، حيث ينقل لنا مشاهد سردية دالة على هدايته وتخلصه من ماضيه السيء « أحس وكأني إنسان جديد وأرى من حولي عالما جديدا أريد العيش فيه إن شاء الله »[3] يتضح من خلال هذه المقاطع السردية ، نقاوة نفس "**إبراهيم**" ورغبته الكبيرة في تغيير مجرى حياته والتخلص من ماضيه السيء « لن أعود إلى ما كنت عليه يا عمي محمد »[4] ويقول أيضا « فقد تركت الفحم مع الخمر في بونة ».[5]

يتبين من خلال هذه المقاطع السردية قصة "**إبراهيم**" وخروجه عن طريق الهدى ونقطة تحوله من سكّير منبوذ إلى شخصية حاج ملتزم أخلاقيا وما تحمله هذه الكلمة "**حاج**" من احترام وتقدير «غمره إحساس بأنّه تخلص من ضيق كأنّه كان يعيش في داخله

---

[1] لبيك حج الفقراء، ص.49.

[2] المصدر نفسه، ص.155.

[3] المصدر نفسه، ص.57.

[4] المصدر نفسه، ص.57.

[5] المصدر نفسه، ص.56.

حتى هذه اللحظة دور شخص بغيض فرض عليه مسرحية كوميدية بذيئة أحس إبراهيم بفخر في قلبه أضفى علي هيئته وقارا وزاده كرامة»[1]

يوضح الكاتب هنا نقطة تحول شخصية "**إبراهيم**" من شخصية منبوذة غير مرغوب فيها إلى شخصية جديدة يدعوا إلى الاقتداء بها «إذا كان إبراهيم السكّير قد تاب وعاد إلى التشمير عن سواعده، ليباشر العمل في حمام يبيع فيه المشروبات لرواده ومن ثم فإنّ السواعد الجزائرية ينتظر منها أن تقوم بما قام به إبراهيم: أي العمل» [2]

وفي موضع اخر ينقل لنا السارد حديث الشخصية "**إبراهيم**" مع ذاتها في شكل ما يسمي بالمنولوج ليقرّ "**إبراهيم**" بنفسه على هدايته وتوبته بالثناء والشكر لله تعالى «أنا أحمد الله أن سهل لي العودة إلى الطريق المستقيم بعد أن سرت طويلا في طريق الزلل والخطايا».[3]

تتضمن الرواية أحداثا متسلسلة تظهر في تطوّر وتحوّل شخصية البطل "**إبراهيم**" قبل وبعد توبته ويتضح ذلك في الرواية عندما قرّر "**إبراهيم**" أن يصلح نفسه ويحسّن سلوكه وأخلاقه ويتخلص من كل ما يربطه بماضيه السابق بما في ذلك تغيير اسمه من "بوقرعة" إلى شخصية "**إبراهيم**" « لقد اقتلع قناع (بوقرعة) لكي يعود ببساطة إلى شخصية إبراهيم»[4].

[1] لبيك حج الفقراء، ص.156.
[2] المصدر نفسه، ص.21-22.
[3] المصدر نفسه، ص.155.
[4] المصدرنفسه، ص.56.

هذا ما جعل الأطفال يتعجبون من حالة "**إبراهيم**" وتغيّره المفاجئ من سكّير قبيح الهيئة إلى هيئة "**حاج**" ملتزم « تعجب الأطفال بدورهم من رؤية هذا الذي كانوا يضايقونه وقد بدا جادًا في هيئة تبعث على احترام شرفاء»[1].

يتضح لنا من خلال هذا المقطع السردي أيضا تحوّل وتغيّر شخصية البطل "**إبراهيم**" من خلال التغيير الذي طرأ على شكله ومظهره الخارجي، عندما استبدل ملابسه القديمة الممزّقة بأخرى جديدة جعلته يبدوا أكثر احتراما في المحكمة.

يقرّ "**إبراهيم**" بقدرة الله وعظمته في هدايته ومغفرته لمن يشاء وهذا ما ورد في الرواية، يقول "**إبراهيم**" في مخاطبته للشيخ "**محمد**" « حتى السكّير يمكن أن يتحوّل بفضل الله القادر على كلّ شيء إلى حاج»[2].

إضافة إلى ذلك هناك مقاطع سردية أخرى تدل على مرحلة أخرى من مراحل تغيّر وتحوّل "**إبراهيم**" وتخلصه من الخطأ الذي يعتريه وسعيه في نيل رضا الله تعالى وكسب المودّة والطمأنينة والراحة، حيث قام "**إبراهيم**" بالثناء والشكر لله ولكلّ ما يحيط به ولكلّ من ساعده في تغيير حياته إلى الأحسن « فاضت مشاعر إبراهيم شاكرًا الله لكلّ النّاس ولكلّ ما يحيط به لأنّه وُفق في مسعى كان يظنّه صعب المنال، كان يعيش لحظة كلّها نعيم كان يفيض رقة لكلّ من يراه في الشارع »[3].

كان "**إبراهيم**" بحاجة إلى من يقرّ بصلاحه وهدايته وتوبته فتلقى ردّا على ذلك من العم "**محمد**" عند ارتدائه لملابس الإحرام بقوله « يبدوا عليك مظهر الحاج، فيك نفحة من

---

[1] لبيك حج الفقراء، ، ص.62.

[2] المصدر نفسه، ص.100.

[3] المصدر نفسه، ص.64.

نفحات الجنّة »[1]. كان "**إبراهيم**" في هذه اللّحظة في حالة نفسية خاصّة لمسلم متوسط الإيمان، قلبه ممتلئ بالثقة في رحمة الله ولطفه.

[1] لبيك حج الفقراء، ص.67.

خاتمة

في ختام دراستنا هذه التي حاولنا فيها دراسة تجليات المرجعية الإسلامية في الخطاب السردي لرواية "**لبيك حج الفقراء**" وكذا تحليل بنية وتحوّلات شخصية البطل خَلُصَ بحثنا إلى جملة من النتائج التي تناولت الجانب النظري والتطبيقي في هذا العمل، ولعل أهمها:

1. نقصد بالمرجعية الإسلامية اهتمام النّص الروائي بالشأن الدّيني الإسلامي وتوظيف قيمه ومضامينه، حيث إنّها تنبع من اختيار الفرد الذي يريد الاستناد إليها.

2. تتضمن المرجعية الإسلامية في طياتها الخبرة، العلم، القدرة على الاستدلال والاستنباط.

3. يعد "**مالك بن نبي**" أحد أهم رواد النهضة والإصلاح في المجتمع الجزائري بشكل خاص وفي الفكر الإسلامي المعاصر بشكل عام، حيث كان له الفضل الكبير في نهوض المجتمع الجزائري من حالة السبات والضياع التي خلّفها الاستعمار الفرنسي إلى حالة النهضة والبناء بعد الاستقلال.

4. محتوى المضامين الإسلامية يتمثل في نص الرواية في القيم التالية: التوبة، الوفاء، حسن الجيرة، وكذلك قيمة الشوق إلى الأماكن المقدسة وأيضا التعايش الديني وأخيرا التكافل بين المسلمين.

5. وظّفت الرواية عدة شخصيات تمايزت فيما بينها في عدة جوانب، في فكرها وسلوكها وطبيعة علاقة كل شخصية بالأخرى، خاصة شخصية البطل.

6. شخصية البطل في العمل الروائي، الشخصية الحاملة للقيم الإيجابية سواء أكان في الحياة أو في عالم الفن (الأدب)، وهو أيضا من أهم مكونات العمل الإبداعي.

7. مفهوم البطل في الرواية الجديدة أفضى إلى صنع وحدة روحية بين القارئ والبطل (الشخصية الفاعلة) حول مفاهيم الحياة.

8. تجسدت شخصية البطل من خلال ذكر صفاتها الخارجية والداخلية التي تميزها عن غيرها، وهذه الأخيرة تمثل عنصرا مهمًا في جذب القارئ.

9. اعتمدت الرواية بشكل كبير على إبراز مراحل ومظاهر تحول شخصية البطل " **إبراهيم**" من شخص منحل أخلاقيا وسكّير إلى شخص تائب يسعى إلى إصلاح نفسه، أخلاقه وسلوكه.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم رواية ورش.

أ- المصادر باللغة العربية:

1. مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، تر: زيدان خوليف، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، 2009.

ب- المراجع باللغة العربية:

1. الشريف حبيلة، مكونات الخطاب السردي مفاهيم ونظرية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2011.

2. أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية، للدراسات والنشر، ط1، القاهرة-مصر، 2005.

3. إحسان عباس، تاريخ النقد الادبي عند العرب، دار الشروق، ط1، دمشق- سوريا، 2006.

4. بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة قي فكر مالك بن نبي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ط1، الجزائر، 2005.

5. جويدة حماش، بناء الشخصية في حكاية عبد والجماجم والحبل.

6. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت- لبنان، 1997.

7. حميد لحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، ط1، دار البيضاء، 1991.

8. حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، مركز أورغاريت الثقافي، ط1، رام الله، 2007.

9. سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار النهظة العربية، ط6، بيروت- الأردن، 1958.

10.سعد السمحراني، مالك بن نبي، مفكرا واصلاحيا، دار النقاش، ط2، بيروت-لبنان، 1986.

11. شريط أحمد شريط تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، ط1، الجزائر، 2009.

12. ضياء غني لفته وآخرون، سردية النص الادبي، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، عمان- الأردن، 2011.

13. عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالته، دار العربية للكتاب، ط2، طرابلس-ليبيا، 1988.

14. عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، عينة للدراسات والبحوث الإنسانية، ط1، مصر، 2009.

15. عبد العالي الطيب، إشكالية تأصيل المنهج في النقد الروائي العربي، مطبعة الأمنية، ط1، دمشق -سوريا، 1999.

16. عبد القادر أبو شريفة وآخرون، مدخل الى تحليل النص الادبي، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط1، عمان، الأردن، 2008.

17. عبد مالك مرتاض، تحليل الحطاب السردي، ديوان المطبوعات الجزائرية، ط1، بن عكنون الجزائر، 1995.

18. عز الدين إسماعيل، الادب وفنونه، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، مصر، 2000.

19. فريال كامل سماحة، رسم الشخصية في روايات حنة ومنة، دار القاس للنشر والتوزيع، ط1، عمان ، 1999.

20. فؤاد بهي السيد، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، ط1 القاهرة، مصر، 1999.

21. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهظة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 1997.

22. محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة، اتحاد كتاب العرب، ط1، دمشق، سوريا، 1996.

23. منصور النعمان، في كتابة الدراما للمسرح للإذاعة والتلفزيون، دار الكتاب للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 1996.

24. محمد بوعزة، تحليل النص السردي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 2010.

25هيام شعبان، السرد الروائي في اعمال ابراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2004.

26. يوسف حطيني، مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، منشورات اتحاد الكتب العرب، ط1، دمشق، سوريا، 1999.

ج- المراجع المترجمة:

1. ألبيرس، تاريخ الرواية الحديثة، تر: جورج سالم، منشورات عبيدات، بحر المتوسط، ط2، بيروت، لبنان، 1982.

2. جيرار جنيت، نظرية السرد (من وجهة النظر الى البيئة) تر: ناجي مصطفى، منشورات الحواري الاكاديمي، ط1، دار البيضاء، 1989.

3. ميشال بوتور، بحوث في الرواية الحديثة، تر: فريد انطونيوس، منشورات عويدات، ط3، بيروت، لبنان، 1986،

4. غاستون باشلار، جماليات المكون، تر: غالب هالسا، المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1984.

و- المعاجم:

1. ابن منظور، لسان العرب، مج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1999.

2. الفيروز ابادي، قاموس المحيط، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة- مصر، 2010.

3. أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهدي، كتاب العيش، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2003.

ه- الرسائل الجامعية:

1. العلمي مسعودي، الفضاء والتاريخ، دراسة في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، لواسيني الأعرج، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير، تخصص أدب جزائري معاصر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2009-2019.

ملحق

1. تعريف بالكاتب "مالك بن نبي"

ولد مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي في 5 ذو القعدة 1323ه الموافق لـــــــ 1 جانفي 1905م بمدينة قسنطينة شرق الجزائر، وترعرع في أسرة إسلامية محافظة فكان والده موظفا بالقضاء الإسلامي حيث حوّل بحكم وظيفته إلى ولاية تبسة حيث بدأ "**مالك بن نبي**" يتابع دراسته القرآنية والابتدائية بالمدرسة الفرنسية، وتخرج سنة 1925 بعد سنوات الدراسة الأربع.

سافر بعدها مع أحد أصدقائه إلى فرنسا حيث كانت تجربة فاشلة فعاد مُجدداً إلى مسقط رأسه، وبعد العودة تبدأ تجارب جديدة في الاهتداء إلى عمل، كان أهمها عمله في محكمة آفلو حيث وصلها في مارس 1927م، احتك أثناء هذه الفترة بالفئات البسيطة من الشعب فبدأ عقله يتفتح على بلاده، وقد استقال من منصبه القضائي فيما بعد سنة 1928. إثر نزاع مع كاتب فرنسي لدى المحكمة المدنية.

انغمس "**مالك بن نبي**" في الدراسة وفي الحياة الفكرية، واختار الإقامة في فرنسا وتزوج من فرنسية ثم شرع يؤلف الكتب في قضايا العالم الإسلامي، فأصدر كتابه الظاهرة القرآنية في سنة 1946 ثم شروط النهضة في 1948 باللغة الفرنسية وقد ترجم الكتاب إلى العربية عام 1960م قد أضاف **"مالك بن بني"** فصلين إلى النسخة العربية، الذي طرح فيه مفهوم القابلية للاستعمار و وجهه العالم الإسلامي 1954، أمّا كتابه مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي فيعتبر من أهم كتب بالعربية في القرن العشرين.

انتقل إلى القاهرة هاربًا من فرنسا بعد إعلان الثورة الجزائرية سنة 1954م تاركا وراءه زوجته التي رفضت مرافقته من فرنسا إلى مصر التي لم يعد إليها إلّا في 1971 حظي في مصر باحترام كبير، فكتب فكرة الإفريقية الأسيوية 1956 وعُيّن مستشاراً

منظمة التعاون الإسلامي منصب سمح له بمواصلة الكتابة الفكرية وإرسال المال ليعول زوجته في فرنسا.

طور "**مالك بن نبي**" معرفته باللغة العربية حيث راجع كل كتبه المترجمة للغة العربية وشرع بالكتابة بالعربية وإلقاء المحاضرات بالعربية و زار سوريا ولبنان لإلقاء المحاضرة هناك عاد "**مالك بن نبي**" في 1963 للجزائر بعد استقلالها فعُيّن سنة 1964 مدير عام للتعليم العالي، فقام بالمتابعة مع إلقاء المحاضرات والتأليف، فصدر له آفاق جزائرية وكذلك الجزء الأول من مذكراته.

استقال من منصبه سنة 1967 ليتفرغ كليًا للعمل الفكري الإسلامي والتوجيهي فساهم بمقالات متتابعة في الصحافة الجزائرية خصوصا في مجلة " Révolution Africaine" (الثورة الإفريقية) التي شارك فيها إلى سنة 1968 بمقالات من صميم تصوراته حول إشكالات الثقافة والحضارة ومشروع المجتمع، وقد جمعت هذه المقالات كلها في كتاب بعد وفاته.

طبعت العديد من الكتب عن حياته وفكره خاصة من قبل المهتمين بالنهضة والإصلاح من أهمها: (في صحبة مالك بن نبي) و (مقاربات حول فكر مالك بن نبي) اللذان كبتهما **"عمر كامل مسقاوي"**، تلميذه الذي ترجم بعض أعماله إلى العربية، والوصي على نشر كتابه.

توفي "**مالك بن نبي**" في الجزائر يوم 31 أكتوبر 1973 الموافق لـــــ 4 شوال 1993ه، مخلفا وراءه مجموعة من الأفكار القيمة والمؤلفات النادرة.

2. أعمال ومؤلفات "مالك بن نبي"

ألف "**مالك بن نبي**" ما يزيد عن العشرين كتابا ما بين سنتيي 1946 و 1973 وهي سنة وفاته وتنوعت عناوين كتبه واختلفت مواضيعها وتوحدّت غايتها.

كانت عناوين كتب "**مالك بن نبي**" عبارة مواضيع شديدة الصلة بالحضارة إن لم نقل هي الحضارة حاول من خلالها طرح الإشكالية الحضارية، فتساءل عن شروط النهضة وعن المشاكل الاقتصادية والفكرية والثقافية والاجتماعية والتي تكوّن مجتمعه فيما يسمى بالتخلف الحضاري، فكانت عناوين كتبه محاولات للإجابة عن تساؤلاته، لكن لكل تساؤل كتابه.

1. الظاهرة القرآنية: هو أوّل مؤلفات "**مالك بن نبي**" أثناء إقامته بفرنسا سنة 1946م مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، والكتابة عبارة عن نظرية ومنهجية جديدة عن كيفية قراءة وفهم القرآن.

2. لبيك حج الفقراء: صدر سنة 1947 وهو عبارة عن قصة شاعرية.

3. شروط النهضة: صدر سنة 1948 ويعد من أهم مؤلفاته، تناول فيه التاريخ والحضارة وحركتهما، وما يتصل بهما من مركبات كالدّين و الأخلاق والثقافة.

4. وجهة العالم الإسلامي: وهو أحد أهمّ كتبه صدر سنة 1945م، سنة قيام الثورة الجزائرية، تناول فيه فوضى العالم الإسلامي و أزماته ومحاولات نهضته، وبعد هذا الكتاب آخر كتبه بفرنسا قبل أن ينتقل إلى مصر للإقامة بها.

أهم كتب "مالك بن نبي" التي أصدرها وهو مقيم بمصر هي:

1. الفكرة الإفريقية الأسيوية صدر سنة 1956م.

2. مشكلة الثقافة صدر سنة 1957م.

3. أنقذوا الجزائر صدر سنة 1957م.

4. الصراع الفكري في البلاد المستعمرة صدر سنة 1957م.

5. البناء الاجتماعي الجديد نشرت في بيروت سنة 1958م.

6. فكرة كومنولت إسلامي صدر سنة 1958م.

7. تأملات في البناء الجديد صدر سنة 1960م.

8. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي صدر سنة 1960م.

9. ميلاد مجتمع صدر سنة 1960م.

10. في مهب المعركة صدر سنة 1961م.

مؤلفات المخطوطة:

1. دولة مجتمع إسلامي.

2. مذكرات شاهد القرن- القسم الثالث -

3. العلاقات الاجتماعية وأثر الدين فيها.

4. نموذج لمنهج ثوري.

5. المشكلة اليهودية.

6. العفن.

7. اليهودية أو النصرانية.

8. دراسة حول النصرانية.

9. مجالس دمشق.

10. مجالس تفكير.

11. خطاب مفتوح لخر وتستوف وإيزنهاور.

3.ملخص مضمون رواية لبيك حج الفقراء

رواية "**لبيك حج الفقراء**" للكاتب "**مالك بن نبي**"، هي رواية قصيرة كتبها بين سفرتين وهو في عجالة، رسم من خلالها عمق الروح الجزائرية وشخصيتها المنتمية إلى تراث الثقافة والحضارة الإسلامية.

يروي فيها "مالك بن نبي" قصة "**إبراهيم**" الضال عن طريق الهدى، والغارق في المعاصي والذنوب، ونقطة انقلابه من سكّير منبوذ وسط أهله وجيرانه، إلى"**حاج**" إلى بيت الله بعد تأثره بحلم راوده خلال ليلتين، وهو يرتدي لباس الإحرام وسماعه لاذان الفجر، فتنتفض حواسه، ويرى أن الصوت يقصده هو فيقرر الحج.

من جهة أخرى استرسل الكاتب مشيرا إلى تفاصيل مظاهر الحج ومراسيمه، من مسقط رأسه بونة, (عنابة سابقا) مارا "بتونس" نحو "بور سعيد" وصولا إلى "مكة" على متن سفينة تابعة للاستعمار الفرنسي أين تعرّف " **إبراهيم**" على الحجاج من الدول الأخرى، إضافة إلى تعرفه على الطفل "**هادي**" أصغر حاج على المركب وتعاطفه معه،

تخللت الرحلة أجواء قدسية وطقوس دينية محضة، عزز فيها الكاتب تقديم النصح والإرشاد.

وفي نهاية الرواية تتولد بذرة الأمل في "**إبراهيم**" الذي قرّر البقاء في المدينة والعمل هناك، ليراسل "**العم محمد**" يطمئنه فيها عن أحواله، راجيا أن تلتحق به زوجته.

فهرس

المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر	
إهداء	
مقدمة	أ
الفصل الأول: تجليات المرجعية الإسلامية والأفكار النهضوية لمالك بن نبي في رواية "لبيك حج الفقراء"	
تمهيد	6
المبحث الأول: المرجعية الإسلامية مفهومها وخصائصها	7
المبحث الثاني: قراءة في الأفكار النهضوية لمالك بن نبي	12
المبحث الثالث: تجليات المرجعية الإسلامية في رواية "لبيك حج الفقراء"	19
المبحث الرابع: المضامين الإسلامية في الرواية	25
الفصل الثاني: تحولات شخصية البطل في رواية "لبيك حج الفقراء"	
تمهيد	35
المبحث الأول: بناء شخصية البطل وعلاقتها بمكونات الخطاب السردي	36
المبحث الثاني: مراحل تحوّل وتطوّر شخصية البطل	64
خاتمة	67
قائمة المصادر والمراجع	71
ملحق	76
فهرس المحتويات	82